

كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

أحمد محمد جمال رحمه الله

الداعية - المفسر - الأديب

شارك في تحرير هذا الكتاب :

- السيد محسن باروم
- اللواء علي زين العابدين
- د. حسن محمد باجودة
- د. عبد الصبور مرزوق
- د. حسن محمد عتر
- د. عاصم محمد حمدان
- الأستاذ زهير كتبي
- أبناء الأستاذ أحمد جمال
- الأستاذ محمد محمود حافظ

السنة الثانية عشرة - ذو الحجة ١٤١٤هـ - العدد ١٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

لقد كانت استجابة كريمة من الأخوة الأساتذة الذين أسهموا في تحرير مادة هذا الكتاب عن الفقيد الغالي الشيخ أحمد محمد جمال- رحمه الله- ولعلي أقف اليوم احتراماً للرجل العالم الفقيه الأديب الشيخ أحمد- رحمه الله- أكثر من أي يوم مضى ذلك أنه ترك ثروة من العلم والانتاج الفكري والأدبي الرائع لم تكن واضحة أمامي يوم كان بيننا يمشي ويتحرك بهذه الكيفية وهذا الشمول كما أراها اليوم.

- ولقد امتدت صداقتي ومعرفتي بالشيخ أحمد أكثر من ثلاثين سنة كان جاراً رائعاً في تعامله ورفقته،
- وكان صديقاً أنيساً متميزاً في علاقاته.
- وكان أستاذاً مربياً كريماً مع طلبته.
- وكنت تلمس عطفه وشغفه بالحديث مع أبناء أمته من الشباب.
- كان أحمد جمال. كل ذلك الزخم من المعرفة، والعمل والنشاط، والإنتاج الفكري والأدبي والثقافي والإعلامي. وليس هذا الكتاب حصراً لكل أعمال هذه الشخصية الإسلامية المعطاءة إنما يمثل جانباً لماحاً لبعض جوانب هذه الشخصية الإسلامية الفذة.. مما يجده قاريء هذا الكتاب من اسهامات الأساتذة الفضلاء أصدقاء الشيخ أحمد. والذين وجدوا في صلتهم به وصلته بهم وقربهم منه وتقربه إليهم عملاً نافعاً إن شاء الله.
- وأنا مدين بالشكر والإمتنان للذين أسهموا في تحرير مادة هذا الكتاب.

- وقد قسمته على فصول واخترت لكل فصل عناوين مناسبة للموضوع أو قريبة منه .

- والشيخ أحمد- رحمة الله عليه- لعشر سنوات وأكثر كان مشرفاً على هذه السلسلة كابد، كثيراً من أجل استمرار اصدارها مع كل شهر عربي خدمة للفكر والدعوة .

وبلغ ما صدر من هذه السلسلة حتى تاريخه مائة وثلاثة واربعون كتاباً .

وبمرور سنة على وفاته حيث توفاه الله فى ليلة التاسع من شهر ذى الحجة لعام ١٤١٣هـ يصدر هذا الكتاب تقديراً لجهوده وجهاده .

لأن الفقيد الغالى يعتبر رمزا من رموز الدعوة الاسلامية فى هذا العصر. قدم خدمات جليلة ومميزة للاجيال المسلمة . دفاعاً عن العقيدة، وتأصيلاً للثقافة الاسلامية تمثل ذلك فى العطاء السخى، والمجهود العلمى فى محاضراته، وبحوثه، ومقالاته، وكتبه، واحاديثه، الاذاعية، والتلفازية، وجولاته الدعوية فى بعض دول العالم .

- عمل بشكل دؤوب على ترسيخ مفهوم الإسلام في حياتنا اليومية . شارك في كثير من القضايا التي تهم الأسرة والمرأة على وجه الخصوص .

وهذا الكتاب لمسة وفاء للفقيد الغالي . رحمه الله رحمة الأبرار وغفر له ولنا وللمسلمين . . آمين والحمد لله رب العالمين .

محمد محمود حافظ

أحمد محمد جمال
رائد من رواد الأدب الإسلامي

بقلم سعادة الأستاذ
محسن أحمد باروم

الفصل الأول :

* أحمد محمد جمال رائد من رواد الأدب الإسلامي
* مفهوم الأدب الإسلامي.
* الإلتزام بالأدب الإسلامي.
* دعوته للتمسك بالأصالة والأدب
* رفضه للحداثة .
* دفاعه عن اللغة العربية.
* دفاعه عن القرآن والسنة.
* دفاعه عن قضايا أمته

احمد محمد جمال
رائد من رواد الادب الاسلامي

مضى اكثر من عام واحد على وفاة الاديب والمفكر الاسلامي الاستاذ احمد محمد جمال الذي عرفته ساحات الادب والفكر والصحافة ومنتديات الثقافة الرفيعة فارسا مجليا لا يشق له غبار عرف بسلاسة الاسلوب وجلاء الفكرة ووضوح الرؤية الاسلامية فيما تناوله من موضوعات متنوعة تعالج شؤون الحياة والكون والطبيعة والانسان وتبين عن موقف قوى يهدف الى اعلاء شأن العقيدة الاسلامية ووجوب تأثيرها في مختلفة مناحي الحياة الانسانية للانسان المسلم في صور ادبية واشكال فنية جميلة تحمل لقارئها ضروب الامتاع الذهنى والتذوق الجمالى والراحة الشعورية الهادئة.

وليس غرضى في هذه الدراسة ان اعرض لمختلف جوانب الحياة الفكرية للاستاذ احمد محمد جمال فذلك امر لا تتسع له هذه الدراسة التى قصرتها على الجانب الادبى من جوانب حياة الاديب المسلم الذي شاء الله له ان يجرد قلمه وثقافته ومشاعره الحية للدفاع عن حوزة الاسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة كامل ووجوب استلهام قيمه ومبادئه ومثله الحضارية العليا فيما ينشىء المبدعون من الوان الادب واشكاله الفنية وضروبه التعبيرية الموحية بقيم الحق والخير والجمال.

ولذلك ليس غريبا ان نرى هذا الاديب المبدع قد انصرف عن نظم الشعر منذ وقت مبكر اذ اكتفى باصدار ديوانه «الطلائع» في مستهل حياته الادبية في عام اثنين وستين وثلاثمائة والف من الهجرة، لانه

احس في قرارة نفسه بعجز قوافي الشعر واوزانه عن التعبير القولى السهل عما يضطرب في الحياة العامة من مشكلات ومايقع فيها من مآسى ومايدور فيها من صراعات سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية فكان ذلك الديوان بمثابة «الطلائع والخواتيم» اوضح ذلك نفسه في الحوار الذي اجرته معه صحيفة «عكاظ»[1].

وانصرف الاستاذ احمد محمد جمال بعد ذلك الى مختلف مجالات الدراسات الاسلامية والسياسية والدعوية يبدع فيها الوان المقالات الادبية والسياسية والاجتماعية ينافح فيها باسلوبه القوى وبيانه الواضح عن رؤيته الاسلامية المتفتحة لشؤون الادب والفكر والسياسة والاجتماع والتربية والاقتصاد والتى كان ينشرها في مختلف الصحف والمجلات السعودية والاسلامية يؤصل فيها منهج الادب الاسلامي بابعاده الفكرية الواسعة التى تتعدى فنون الادب من شعر وقصة ومسرحية ورواية ومقالة ونقد وغيرها من الاشكال الادبية المعروفة للدارسين والكاتبين. وانما تعداها في منهجه الى الوان الدراسات العلمية والثقافية والتاريخية التى يلتزم كاتبوها ومنشئوها بآداب الاسلام وقيمه العقيدية والخلقية ورؤاه الفكرية والاجتماعية الهادفة الى صياغة شخصية الانسان المسلم وفكره وروحه وحياته وفقا لتعاليم الاسلام ومناهجه الفكرية والدينية التى تحث على الارتفاع بمختلف مناحى حياته العامة والخاصة الى آفاق رحبة رفيعة تحقق له الطمأنينة والاستقرار والهدوء والانسجام مع نفسه ومجتمعه وتدفع به الى انتاج ادب وعلم وفن رفيع يحترم المقاصد العليا للانسان في حياته الدنيوية مما

---

(١) مقالة «حديث مع اديب» ص ٣٣ ومابعدها من كتابه «ادب وادباء» سنة ١٤١٣.

يؤهله للفوز في حياته الاخروية القادمة بإذن الله تعالى .

واذا اجلنا النظر الفاحص والدرس الدقيق للانتاج الفكرى الثر الذى خلفه الاستاذ احمد محمد جمال منذ تمسكه بمنهج الالتزام الاسلامي في كتاباته الدينية والادبية والاجتماعية والسياسية التى تبلورت في مجموعة الكتب والمؤلفات القيمة التى اربت على ثمانية وعشرين كتابامكننا ان نصنِّف هذا الانتاج في اربعة مسارات فكرية هي :

● اولا المسار الفكرى والدعوى.

وقد عالج فيها الوانا من القضايا القرآنية وادب الحديث النبوى ونظرات في الثقافة الاسلامية وهموم الدعوة الاسلامية وحوارات مع دعاة الاسلام تلخصها كتبه التالية :

١ - محاضرات في الثقافة الاسلامية .

٢ - مفتريات على الاسلام .

٣ - القرآن كتاب احكمت آياته . . جزءان .

٤ - مأدبة الله في الارض .

٥ - القصص الرمزى في القرآن .

٦ - نحو تربية اسلامية .

٧ - في مدرسة النبوة .

٨ - خطوات على طريق الدعوة .

● ثانيا: المسار الاجتماعى.

اما كتبه التـى عالجت مختلف القضايـا الاجتماعية باسلوبـه الصريح والتزامه بالمنهج الاسلامي الواضح فقد تجلت في الكتب التالية :

١ - الشباب لقاءات ودراسات .
٢ - من أجل الشباب .
٣ - قضايا معاصرة في محكمة الفكر الاسلامي .
٤ - تعليم البنات بين ظواهر الحاضر ومخاطر المستقبل .
٥ - نساؤنا ونساؤهم .
٦ - كرائم النساء .
٧ - مكانك تحمدى .
٨ - المسلمون حديث ذو شجون .
٩ - يسألونك .
١٠ - عقود التأمين بين الاعتراض والتأييد .
١١ - الاقتصاد الاسلامي .
١٢ - ماذا في الحجاز .

● ثالثا: المسار السياسي :

امـا قلمـة القـوى ونفسـه الجيـاشة بـالـوان العـواطـف الصـادقـة والطموحـات النبيلة نحـو مشكلات امته العـربية وهموم وجـراح امته الاسـلامية فقـد شغلت منـذ وقت مبكـر مـن حياتـه العامـة مساحـة واسعـة . ناضـل فيها بفكـره الحر ونظراتـه الجريئـة وثقافتـه السياسيـة

الـــواسعـــــة بشؤون عالمه الاسلامي الكبير ماجعله يفرغ كل هذا في مقالات صحفية ودراسات وابحاث متعددة تمثلت في مؤلفاته الآتية :

١ - استعمار وكفاح .
٢ - مأساة السياسة العربية .
٣ - نحو سياسة عربية صريحة .
٤ - فكرة الدولة في الاسلام .
٥ - الجهاد في الاسلام .

● رابعا : المسار الادبى :

وهو مـاـنهدف اليه في هذه الدراسـة التى تتناول الاستـاذ احمد محمد جمال كأحد الادباء والمبدعين الذين وجهـوا طاقاتهم الفكرية وملكاتهم الفنية وقوى الابداع المذخورة في اعماق نفوسهم الى تناول مظاهر الحياة وشؤون الفكـر واللغة والادب وخفـايا مشاعـر النفس وهموم الـواقع المعاصر في إطار الالتزام بمناهج الاسلام في العقيدة والتربية والاجتماع والسلوك فكـان من اوائل الادباء والكتاب الـذين اكدوا مبـدأ الالتزام الاسلامي في بـلادنا فكرا وادبا وثقافـة ليكون ادبنا مرآة صـادقة لهموم المسلم المعاصر يعبر عنها في صدق واخلاص ووضوح .

ومقالاته وابحاثه المنشورة في كتابيه : «ادب وأدباء» و«الصحافة في نصف عمود» هي خلاصة فكره وفيض قريحته نحو ما امتلأت به نفسه وجاش في وجدانه من احاسيـس ومشاعر وخلجات جسدت تطلعات اديب عـربى مسلم يـرنو الى تحقيق قيـم الحق والخير والحرية والجمال في

حياة امته العربيـة والاسلامية يبغى لشعوبهما رفعة الشـأن وعلو المكانة وحسن الاحـدوثة وكرامـة العمل لتنعم بحياة انسـانية فاضلـة يظللها الاسلام بمبادئه السمحـة وقيمه الرفيعة في الاعتقـاد والتربية والسلوك العملى الفاضل .

واذا امعنـا النظر في الانتـاج الادبى والصحفـى الـذي ضمه هـذان الكتابان لنستبين ملامح الموضوعـات والمحاور الفكرية التى دار عليها هذا الانتاج للتعرف على رأيه نحو مفهوم الادب الاسلامي الذي يعتبر بحق احد رواده الاوائل في بلادنا العزيـزة فضلا عن اعتباره من طلائع الادباء العـرب الذيـن يمثلون الـواجهة المشرفـة والركـائز القويـة لهذا الادب في عالمنـا العربى المعـاصر من امثـال : سيد قطب ومحمـد قطب وعباس محمود العقاد واحمد محرم وعمـر بهاء الدين الاميرى ومصطفى صادق الرافعـى وعبد الوهاب عزام وعبد الحميـد جودة السحار وعلى الطنطاوى ونجيب الكيلانى وبنت الشاطىء .

مفهوم الادب الاسلامي

لقد صوَّر الأستاذ أحمد جمال هذا الأدب بقوله :

إن الادب تعبير فنى جميل عن المشاعر والخواطر والافكار . . التى تختلج في نفس الاديب تجاه حوادث الحياة وتجارب الاحياء من وجهة النظر الذي ينظر من خلالها .

والادب ـ كسائر الفنون ـ جزء من فطرة الانسان ، والانتاج الادبى ـ من شعر ونثر وقصص ـ انما يأتى تلبية للنزعة الفنية عند الاديب ، ويتأثر به الناس استجابة لفطرة الحس او الذوق الجمالي المودع في نفوسهم .

وهو ـ أي الادب ـ تقاس قيمته ، ويوزن مقداره بالدرجة التى يشبع بها ، ويمتع المشاعر والاذواق تفكيرا وتعبيرا وغاية ، يستهدف بها الاصلاح والاسعاد ، والتسامي بالمجتمع والمجتمعين .

والأدب يجب ان يكون ملتزما بعقيدة ونظرة خاصة الى الحياة والاحياء ، مهما كانت هذه العقيدة ايجابية او سلبية ، ومهما كانت نظرة الاديب سوداء او بيضاء ، متفائلة أو متشائمة .

حتى مايبدو او يخيل (للبعض) من ان شعر الشعراء ، وقصص القصاص ، ونثر الناثرين الفنيين : لا التزام فيها ، وانها أدب للأدب . وليست أدبا للحياة : هو في الواقع ــ وخلافا لما يظنون ــ «أدب للحياة ، وليس ادبا للأدب» وليرجعوا الى كتب الشعر والقصص والنثر الفنى ، متأملين ، متفكرين . . فسوف يجدونها تنطوى على نظريات وأفكار وعقائد دينية ، وخلقية ، واجتماعية . . تمثل (التزام) الاديب اروع تمثيل .

والأدب الاسلامي ــ بصفة خاصة ـ أدب بعقيدته الحقة، وتصوره الصحيح تجاه الكون وبدائعه، والانسان نوازعه، والحياة ومرحليتها وغايتها(١).

كما أكد هذا المعنى في مقالته (تراجم الأدباء) التى يرد فيها على الاستاذ عبد القدوس الانصارى صاحب مجلة المنهل مبينا فيها وجهة نظره بجلاء ونفاذ بصيرة فيقول: «وربما ظن الاستاذ الانصاري ان الدراسات الاسلامية والسياسية والاجتماعية.. التي اصطبغ بها عملي الأدبي اخيرا، وأصدرت بها عددا من المؤلفات معروفا لدى القراء ليست أدبا، وأعتقد أن هذا الظن اذا كان قد خالج الاستاذ الانصارى ـ غير صحيح.

فألأدب ــ كما هو معروف ـ هو التناول الفكري والعمل الكتابي لمجموعة من الفنون والافكار والموضوعات المختلفة.. وليس أدل على ذلك من كتب الأدب القديمة وكتب الأدب الحديثة أيضا.

ومن بين أدبائنا المعاصرين ـ في العالم العربي على الاقل ــ من مارس الكتابة في الشؤون الاسلامية والاجتماعية والسياسية في اواخر سنواته، ولم يخرجهم هذا الاتجاه من محيط الأدب ودائرة الأدباء، كالعقاد، وطه حسين، والزيات، والطنطاوي، وامثالهم» (٢).

وهكذا فان الاديب الاسلامي احمد محمد جمال قد وسع دائرة الادب الاسلامي ولم يقصرها على فنون الادب التى تعارف عليها الادباء والنقاد المعاصرون وانما أدخل عليها فن القول الجميل الذي يتميز

(١) ما هو الأدب، ومن هو الأديب- صفحة ١١ من آدب وأدباء.
(٢) ص ٥٠، ٥١ من «الصحافة في نصف عمود» سنة ١٤١٢هـ.

بالتعبير عن قضايا أمته الاسلامية وبالالتزام بمنهج الاسلام في العرض والاداء التعبيرى والتمسك بآدابه وقيمه .

ولقد اعاد في مقالة اخرى نشرتها لـه صحيفة (عكاظ) في ١٨/ ٢/ ١٣٨٧هـ بعنوان (عندما يكون العالم اديبا) يصر على وجهة نظره تلك ويرد على معارضيه وناقديه بقوله :

مازال هناك ـ بيننا ـ من يظن (الاديب) هو الذي يكتب القصة العاطفية ، او ينظم القصيدة الغزلية ، أو هو الذي يمارس الكتابة على مبدأ (الفن للفن) .

ولا اريد ان أعيد ماكتبته ردا على رأي الاستاذ الانصاري في الأدب أو ماقلته ــ من قبل عن (الالتزام) التزا م الاديب بشؤون بيئته ، وانفعاله بالحياة حوله ، ومشاركة الأحياء في مجتمعه في آلامهم وآمالهم بالمعالجة والاصلاح .

وقد قرأت ــ أخيرا نبأ أتأيد به في وجهة نظرى عن الأدب والأديب ، وهو أن العالم الازهري الشيخ احمد الشرباصى ـ وهو خطيب أديب ـ وضع رسالته لنيل الدكتوراه عن رشيد رضا وأثره في الأدب واللغة العربية . تحدث فيها عن السيد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ كمفكر اسلامي ومفسر قرآني ، ومشتغل بالحديث النبوى ، وخطيب وشاعر ، ومهتم بشؤون اللغة العربية .

وقد نال الاستاذ الشرباصى شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية بعد مناقشة هذه الرسالة بين يدي هيئة أدبية من أساتذة الجامعة .

والعبرة ، أو موضع الاستدلال من النبأ ـ هو اعتبار (الشيخ رشيد رضا) المعروف كمفسر للقرآن الكريم : أديبا كبيرا لـه «أثره في الادب

واللغة العربية» وان تعطـى شهادة الدكتوراه لمقدم الرسـالة على أساس صدق دعواه، وتدليله عليها بما لا يقبل الجدل أو الرفض.

فماذا يـرى الحاصرون (لـلأدب) في نطـاق العاطفـة الفنيـة أو الفـن العاطفي؟[1].

---

(١) صفحة ٥٤ من كتاب «الصحافة في نصف عمود».

الالتزام في الادب الاسلامي

لعل الاستاذ احمد محمد جمال رحمه الله اول من دعا من الكتاب السعوديين الى الالتزام بمنهج الفن الاسلامي في مختلف اشكاله وادواته الفنية من قصة ورواية ومسرحية ومقالة ونقد وبحث في مختلف جوانب الثقافة والمعرفة طالما ان كاتبها قد التزم فيها بضوابط المنهج الاسلامي الداعية الى جمال التعبير واستيحاء قيم الحق والخير والعدل والبعد عن كل مايسيء الى عقيدة الاسلام ومثله الخلقية وشواهده الحضارية ويدفع بمتلقيه الى معارج الاصلاح والكمال والاسهام في تقدم مجتمعه ماديا ومعنويا ومحاربة التغريب والتبعية الحضارية والفكرية للغير.

فمنذ اوائل الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجرى المنصرم وهو يردد في مقالاته ومحاضراته في المؤتمرات الادبية والمنتديات الثقافية وجوب الالتزام بمنهج الادب الاسلامي لا يفتر لسانه ولا يكل قلمه عن ترداد اسس هذا المنهج.

ولهذا نرى ذلك واضحا في مقالاته الآتية:

الالتزام بين المعارضة والتأييد(١) ـ ادبنا ينبغى ان يكون ملتزما(٢) ـ الالتزام ضرورى في أدبنا(٣) ـ الادب في خدمة الحياة والعقيدة(٤).

كما نراه في بحثه القيم الذي القاه على اعضاء المؤتمر الاول للادباء السعوديين الذي انعقد في رحاب جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام

---

(١) صفحة ١٩، من كتاب (ادب وأدباء)
(٢) صفحة ٢٠، ٢١ من المرجع السابق.
(٣) صفحة ٢٨ من المرجع السابق.
(٤) صفحة ١٣٣ من المرجع السابق.

اربعة وتسعين وثلاثمائة والف هجرية يصر على هذا المبدأ في قوة وجلاء ونبرة عالية الصوت فيقول :

إن (أدبنا) كما أتصوره وأتوقه وأطالب به : هو النظر والتأمل من خلال تصور إسلامي في الكون والحياة والناس بما لهم من قضايا ومشكلات ومعتقدات ، ثم الانفعال على هذا الأساس ، وبعد ذلك يأتي العطاء المبارك ، والبناء المتماسك للمجتمع .

وفي سبيل تثبيت (الالتزام) الادبي الذي ندعو اليه اولا في ديارنا المقدسة ، وثانيا في العالم الاسلامي ــ نطالب بعقد مؤتمرات للأدباء الاسلاميين في شتى انحاء العالم لمواجهة أخطار الأفكار والفلسفات والعقائديات الملحدة المفسدة ـ وأنا أقدم هذا الرأي او الاقتراح لجامعة الملك سعود بالرياض ، كي تدعو الى مؤتمر للأدباء المسلمين ، كما دعت جامعة الملك عبدالعزيز بجدة الى مؤتمر للأدباء السعوديين ، وبذلك تؤدي جامعة الملك سعود بالرياض واجبا فكريا دينيا عظيما . . اهملته ـ مع الاسف الشديد ـ كل مؤتمرات الأدباء العرب التي انعقدت خلال السنوات الاخيرة في بعض العواصم العربية . . واغفلت البحث في القيم الروحية والاخلاقية الاسلامية ، التي هي الجانب الاخطر والاهم في تاريخنا وتراثنا وحياتنا ، والتي ينبغي أن تكون قواعد أدبنا وأركانه الرواسي .

ولعل هناك فريقا من الادباء يظن أن الأدب شيء ، والكتابة شيء آخر ، أو أن تراث الفلاسفة والأدباء شيء والدراسات العلمية شيء آخر .

وأنا هنا لأقول لهؤلاء : إن أهل الثقافة العلمية في حاجة ماسة الى

الفكر الـروحي ، والـوجدان الـديني ، ليتعلمـوا مبادىء الحق والخير والجمال ، وليدركوا أن ثمة مثلا اخلاقيا أعلى ينظم حياة الناس ، ويخلع عليها كـل معناهـا ، وحتى يفطنوا الى انـه لابد مـن العمل على صيـانة الشخصية الانسانيـة من أخطار التقدم الصنـاعي اللاانسانـي ، وحماية الحضارة البشرية من جنون الحياة الآلية المادية .

كما اقول ايضـا اذا كان من شأن العلـوم ان تعرفنا ماهـو «الحق» فإن شأن الآداب أن تكشف لنا عما هو خير ، ولـذلك من اجل تحقيق الخير في أفكارنـا ووجداننـا دعونـا وندعـو الى (الالتزام) في أدبنـا السعودى كمرحلـة اولى ، ثم اليـه في الادب العربي والاسـلامي اجمع في مـرحلة تالية – والله الموفق والمستعان»[1].

---

(١) صفحة ٢٩ ، ٣٠ من المرجع السابق .

دعوته الى التمسك بالاصالة في الادب واللغة والفكر

ومن كان هذا نهجه في الادب وديدنه في الكتابة فليس غريبا ان نرى كتاباته ومقالاته تفيض بوجوب التمسك بالاصالة والاعتزاز بمقومات حياتنا الثقافية التى تقوم على دعائم راسخة من لغة القرآن وهدى الحديث النبوى وتراث الفكر الاسلامي الاصيل وينابيع الادب الاسلامي الصافية.

فهو يؤكد هذه الحقائق ويرسخ مفاهيمها في أذهان سامعيه وقارئيه فنراه في مقالاته التالية «ادبنا لا معالم له فلنضع معالمه»(١) «دعوة الى التجديد الادبى»(٢) «أدبنا بين الشيوخ والشباب»(٣) «أدبنا بين الاتهام والدفاع»(٤) «الثقافة العربية وحاجتها الى الاصالة» (٥) «ماذا يقرأ شبابنا»(٦) «نصيحة لادباء الشباب».

ولعل من المناسب في هذا الصدد ان اجتزىء شطرا من نصيحته لادباء الشباب التى يعلن فيها:

«مما يلاحظ على الكتاب الشباب انهم يحشدون اسماء بعض الكتاب الغربيين في كتاباتهم، مع اقتطاف او اختطاف لنظرياتهم حشدا، مع استمرار في الحشد يغري باتهامهم بمحاولة الظهور امام القراء على

---

(١) صفحة ١٢ من كتاب (أدب وأدباء)
(٢) صفحة ١٥ من المرجع السابق.
(٣) صفحة ٢٤ من المرجع السابق.
(٤) صفحة ٢٦، ٢٧ من المرجع السابق.
(٥) صفحة ٧١ من المرجع السابق.
(٦) صفحة ٤٤، ٤٥ من كتاب الصحافة في نصف عمود.

مستوى اعلى من مستويات الثقافة العربية والفكر الاسلامي .

وللدكتورة نازك الملائكة وجهة نظر تجاه هذه الظاهرة الادبية في مجال الكتابة العربية - فهي تنكر ان تغص المقالات التى تكتبها اقلام عربية بالأسماء الاجنبية والاصطلاحات الدخيلة على آدابنا ، ونرى انه مهما بلغ اعجاب الكتاب العرب بآراء المفكرين أو الادباء الغربيين ، فانه لا يبرر ان نتعسف في تحكيم آرائهم في ادبنا المحلى ، لأن تراثنا يختلف اختلافا كبيرا عن تراث الغرب . . ولأن أدبنا العربى له تاريخه ومزاجه ولغته واسلوبه . . ولأن مشاكلنا الادبية غير معروفة في آدابهم ، ولان ظروفنا في الوطن العربى تختلف عن ظروف الغرب الذي بات يتحلل يوما بعد يوم من روحيته! وإذن فعلينا ان نتخذ لانفسنا حماية تقينا ما في هذا الادب الوافد من شرور لتصفو لنا فوائده ومزاياه بعيدا عن النقل المتعسف عن كتاب غربيين لا جذور لنفسياتهم في ارضنا العربية . .

هذا ما تنصح به الدكتورة نازك الملائكة .

فهل ينتصح شباب الادب في بلادنا ، ويعودوا من قريب الى تاريخهم وتراثهم ، واعلام فكرهم العربى الاسلامي»؟(١)

---

(١) صفحة ٤٨ من الصحافة في نصف عمود .

رفضه للحداثة

وانطلاقا من تمسكه بمنهج الادب الاسلامي القائم على المبادىء الفكرية والاصول الفنية التى سلف ذكرها . كان موقفه الرافض لمحاولات الافلات من اوزان الشعر العربى وقوافيه مما ادى الى ظهور الوان من قصائد النثر المتهافتة وامتلاء ساحة الشعر العربى الحديث بهذا الفيض من الهراء الشعرى الذى وصف ناظميه أديب العربية الاستاذ عباس محمود العقاد «بالمفلسين» ويضيف الى وصفهم بالافلاس انهم جهلة عاجزون وهو يقصد المتقيئين بالشعر الحر»[١]

وتتناثر هذه الآراء والنظرات النقدية الجريئة لظاهرة الشعر الحر في مختلف ثنايا كتابه (أدب وادباء) ومن بينها مقالته حول مهرجان الشعر العربى وتعليقه على رسالة صديقه الاديب اللبنانى محمد اديب غالب الذي يعقب على كلام الحداثى «شوقى بزيع» فيقول :

هكذا يتحدث شوقى بزيع عن تلك الجرثومة المتعاظمة في شعر الصعلكة الحديثة التى اقل مايقال عنها انه كانت هنالك اتهامات كثيرة توجه الى شعراء النثر ثم جاءت حصيلة هذا الشعر طيلة نصف قرن لتثبت ان الجرثومة التى كان اول من نقلها من العرب الينا امين الريحانى هي من نوع استسهال بعض الاشكال من الكتابة وعدم الانضباط باى ايقاع وهو مناخ تعبيرى منقول حرفيا بغير مفهومه من ثقافة الغرب . الغرب الذي من اولى رسالاته تفتيت البنية الميراثية من التراث العربى وفي مقدمتها البلاغة القرآنية ذات الاعجاز البيانى الذي لا نظير له[٢] .

---

(١) صفحة ١٢٨ ، ١٢٩ من مقالته نظام الشعر ليس قيدا (أدب وأدباء) .

(٢) ص١٣٦ ، ١٣٧ من كتابه (أدب وأدباء) .

دفاعه عن اللغة العربية

لما كانت اللغة العربية لغة القرآن العظيم كلام الله الموحى به الى خاتم انبيائه محمد صلى الله عليه وسلم لذلك فقد حفظها من التغيير والتبديل والانقراض والزوال كما زالت لغات كثيرة على امتداد التاريخ الانساني .

ولا غرو ان نرى مؤامرات اعداء الاسلام وأتباعهم من الكتاب العرب من يتهمها بالقصور والعجز عن الوفاء بالفاظ الحضارة ومقتضيات التطور الاجتماعى والعلمى والتكنولوجى في حياتنا الحديثة فطالبوا بتبسيط كتابتها وقواعد نحوها وحروفها واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية الى آخر ماعرفناه من دعوات هدامة ترمى الى النيل من قدرة اللغة العربية على التعبير الواضح عن مكنونات النفس الانسانية ومستحدثات علوم العصر وحضارته التكنولوجية المعقدة .

ومن اجل ذلك نرى الادباء الاسلاميين وقادة الفكر العربى الحديث من امثال مصطفى صادق الرافعي وعباس محمود العقاد وعبد الوهاب عزام واحمد حسن الزيات ومحمود تيمور وسيد قطب وانور الجندى واحمد محمد جمال ممن تصدى بقوة وضراوة واصرار لحملات التشكيك ضد لغة القرآن كتابة وحديثا ونحوا وصرفا وتعبيرا عن مختلف مبتكرات الحضارة الحديثة واوجه النشاط الانسانى المختلفة .

ولقد احسن الشاعر العربى الكبير حافظ ابراهيم في رائعته الشعرية المؤثرة التى انطق فيها لغة العرب تتحدى محاولات التطاول عليها

والنيل من اعجازها اللغوى والبيانى فترد على خصومها قائلة :

وسعــت كتــاب الله لفظــا وغــايــة
ومــاضقــت عــن آي بــه وعظــات
فكيـف اضيــق اليـوم عــن وصـف آلــة
وتنسيــــــق اسماء لمخترعــــات
انــا البحــر في احشــائه الــدر كــامــن
فهـل سـألـوا الغـواص عـن صـدفـاتـى؟
فيــــا ويحكــــم أبلى وتبلى محاسنــــى
ومنكــــم وان عـــز الـــدواء أســـاتي
فـــلا تكلــونـــى للــزمـــان فـــإننـــى
أخــــاف عليكــــم أن تحين وفــــاتــــى

ولقد رزق الله العربية الفصحى من ابنـائها الميامين من يتصدى لهذه الحملات المشبوهة بالتفنيد ومقارعـة الحجة بالحجة واستخدام اساليب المنطق وطرائق الجدل والمناظرة في ايضاح الاخطاء والاغاليط التى وقع فيها اعداء اللغة العربية من المستشرقين وتـلاميذهم من الكتاب العرب المستغربين كسـلامة مـوسى ولـويس عـوض وغالى شكـرى وادونيس وغيرهم ممن دعا الى استخدام العاميـة في مجال الكتابة والبحث العلمى لقدرتها على التجـاوب - في نظرهـم - على حسن التعبير عـن مشاعـر النفـس الانسـانية ومتطلبـات العلـم الحديـث، وليس غـريبـا ان تجد الاديـب الاسلامـي احمد محمـد جمال ينبرى لهذه الفئـات المختلفة مـن الكتـاب العـرب ذوى الفكـر العلمانى المنحـرف بفكـره النير وحماسـه الشديد وقلمه السيال يهاجمهم ويـرد عليهم في مقالاته الآتية : «يجب ان

نتعصب للغتنـا العربيـة»[١] «طه حسين يتـآمر على اللغة العـربية»[٢] «حول محنة اللغـة العربية»[٣] «عندما يكون التقليـد اعمى واعور»[٤] «من اعداء اللغة العربية»[٥].

ولم ينس الاديب الاسلامي الجهبذ الاستاذ احمد محمد جمال في غمرة دفاعه عن اللغة العربية قضية تعريب العلوم الطبية والنظرية والتطبيقية فقد ناضـل عنها واكد قدرة هذه اللغـة على الوفاء بدقـائق علوم الطب ومبادئه النظـرية والعمليـة مستشهدا بـاليابـان والمانيا اللـذين يقـومان بتدريسه بلغتهما القومية رغم انهما دولتـان محدودتان بمكانهما وخاصتان بأمتهما في حين تمتد حـدود اللغة العربية بعيدا جدا عبر مسـاحة واسعة جدا خلال العالم العربى والعالم الاسلامي ايضا.[٦]

وليـت اخوتنـا المسؤولين عـن شؤون التعليـم العالى في جـامعاتنـا العـربية والاسـلامية ان يصيخـوا سمعهـم ويعملوا عقـولهم فيما اتخذه عمداء كليات الطـب في العالم العربى في مؤتمرهـم الذي انعقد في عمان عام ١٤٠٣ هجرية - ١٩٨٣م من قـرار ينص على ضرورة تعليم الطب باللغة العربية واوصوا باتخاذ الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الهدف.[٧]

ولخطـورة هـذه القضيـة التـى تتصل بمستقبـل الاجيـال العـربيـة الصاعدة ووجـوب اعدادها للدخول في عصر ثورة المعلـومات وتفجر المعارف التي تسود عالمنا المعاصر فقد كرس مجمع اللغة العربية بالقاهرة

---

(١) صفحة ١٤٥ من كتاب ادب وادباء.
(٢) صفحة ١٦٠ من المرجع السابق.
(٣) صفحة ١٦٢، ١٦٣ من المرجع السابق.
(٤) صفحة ١٦٦ من المرجع السابق.
(٥) صفحة ١٦٦، ١٦٧ من المرجع السابق.
(٦) صفحة ١٤٨ من المرجع السابق.
(٧) في مقاله (تعليم الطب واجب إسلامي) من كتابه أدب وأدباء ص ١٤٨.

دورتـه الثامنـة والخمسين التى انعقـدت في رجب مـن عام اثنـى عشر واربعمائة والف هجرية لنقاش قضية تعريب التعليم الجامعى في الوطن العربى بـاسهاب واوصى بوجـوب الاسراع في ذلك لان استعمار اللغة في نظر قادة الفكر العربى المعاصر اخطر من الاستعمار العسكرى كما انه عائق لنمو اللغـة وتطور مقدرات اهلها الفكرية والثقـافية والاجتماعية والاقتصادية .

دفاعه عن القرآن والسنة النبوية الشريفة

لا يخفى على الدارس للتراث الادبى للاستاذ احمد محمد جمال انه قد خلف ثروة فكرية بالغة الثراء في حقل الدراسات القرآنية والسنة النبوية المطهرة منذ ان ترك الشعر عامدا واتجه بكل طاقاته العقلية والشعورية المذخورة في اعماق نفسه الى الينابيع الثرة في القرآن والحديث النبوي الشريف ينهل منها مااستطاع الى ذلك سبيلا فأمده ذلك بروافد فكرية خصبة اضفت على ثقافته العامة وشخصيته الانسانية ابعادا من العمق والسعة والشمول ورهافة الحس وسلامة الذوق ونبل السلوك وتجلى ذلك واضحا فيما خلفه من كتب ودراسات اندرجت تحت المسار الفكرى والدعوى الذي سبقت الاشارة اليه بصورة اجمالية.

وليس من غرضى في هذا البحث ان اغوص في دقائق هذا التيار الفكرى الذي اوغل فيه الاستاذ احمد محمد جمال بقوة واقتدار استاذا جامعيا يفسر لطلابه اسرار التنزيل ومعانى القرآن أو كاتبا نابها قوى الاسلوب ناصع الحجة مرموق المكانة في صحفنا ومجلاتنا العربية والاسلامية المختلفة مما جعله احد رموز الصحوة الاسلامية المباركة في عالم الاسلام اليوم.

وانما هي اشارات عابرة الى بعض انتاجه الكتابى المبثوث في ثنايا مؤلفه عن الادب والادباء حيث رد على «طه حسين وقصة زينب»[1]

---

(١) صفحة ١٣٥ من كتاب أدب وأدباء.

و«ما لا يليق بالكتاب المسلمين»(١) و«تشابه الاسماء»(٢) .

وفي هذه الاخيرة يوضح الفرق بين الدكتور محمد خلف الله احمد عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية سابقا وبين الدكتور محمد احمد خلف الله صاحب كتاب «الفن القصصى في القرآن الذي كان ابعد فيه عن الحق والصدق وابعد عن فهم القرآن وابعد عن التأدب مع كلام الله عز وجل ومع انبيائه ورسله وقد تناولته في كتابى بما يستحق من التأديب» . (٣)

ومن الخير كل الخير لمن يريد التوسع في دراسة هذا الاتجاه من التراث الفكرى لكاتبنا الاسلامي الاصيل ان يرجع الى كتابه القيم «مع المفسرين والكتاب» الذي ابدل اسمه فيما بعد ليصبح «القرآن كتاب احكمت آياته» «بجزئيه الكبيرين اللذين تناول فيهما بعض آراء أئمة الفكر العربى والاسلامي في تفسير القرآن بالدراسة والنقد والتصحيح فقد كانوا إصحابه واحباءه واهل وده» (٤)

أما عن السنة النبوية الكريمة فان احمد محمد جمال كان مجليا في دفاعه عن الحديث النبوى باعتباره الركن الثاني في التشريع الاسلامي ولهذا تصدى لمشكلات تدوينها ومقاييس الصحة والحسن والتضعيف فيها وقدم لطلابه ومحبيه الوانا من الدروس والآداب الاجتماعية التى يستخلصها بثاقب نظره وعميق فكره من الدروس الاسبوعية التى كان يلقيها على رواد المسجد وكان محورها حديثا مختارا من روائع كلم النبي

(١) صفحة ١٣٧ من المرجع السابق .
(٢) صفحة ١٣٩ من المرجع السابق .
(٣) صفحة ١٣٩ ، ١٤٠ من كتاب أدب وأدباء .
(٤) صفحة ١٣٩ من المرجع السابق .

المجتبى وسيد الخلـق محمد صلى الله عليه وسلم يجلوه بـاسلوبه المشرق وطريقته السهلة الموجزة ليصل الى الهدف المنشود منه .

ولقـد احسن نـادى مكة الثقـافى الادبى بـاصدار تلـك الاحاديـث الرائعـة بعد وفاة صـاحبها في كتابَ انيق اطلـق عليه مؤلفـه عنوان «في مدرسـة النبوة» ولم يتـح له ان يـرى النور الا بعـد وفاة مـؤلفه رحمه الله واسكنه فسيح جناته .

ويكفى الاستـاذ احمد محمد جمال مـاقالـه عنه اديـب العربيـة الكبير الاستـاذ على الطنطاوى في الـرسالـة التـى وجهها اليـه في غرة شعبـان ١٣٨٤ هجرية قائلا فيها :

فانا اعرفك ياأخى اديبا وكـاتبا ولكن عرفتك اليوم عالما وجدت في مكتبة كلية الشريعـة كتابك «مع المفسريـن والكتاب» فوجدت فيـه من الفقه لكتـاب الله والوقوف على اسراره وادراك مقـاصد الشريعـة ما لا اجد مثلـه عند كثير ممـن يتصدرون اليـوم في التفسير ويعدون مـن كبار العلماء أي والله . (١)

---

(١)صفحة ٢٦٣ من كتابه (الصحافة في نصف عمود) الطبعة الاولى ١٤١٢هـ

دفاعه عن قضايا امته العربية والاسلامية

لا جدال في ان الاستاذ احمد محمد جمال قد ادرك وظيفة الاديب المسلم في الحياة أتم ادراك فعمل على تسخير ادبه وفكره وطاقاته العقلية والوجدانية في خدمة عقيدته الاسلامية والذود عن تصوراتها في الكون والحياة والانسان وعلاقته بربه والآخرين من حوله والدعوة الى اقامة مجتمع اسلامي فاضل تقوم دعائمه على الحق والخير والعدل والكرامة في عالم اليوم .

ومن اجل ذلك انبرى منذ مطلع شبابه لاي انحراف فكرى واجتماعى وسياسى وتربوى واقتصادى يمس حياة شعوب امته العربية والاسلامية وليس غريبا ان تحتل هموم هذه الامة بؤرة تفكيره ومركز نشاطه العقلى ومدار جهاده الكتابى فيشن هجوما عنيفا على الاستعمار العسكرى والغزو الفكرى والاستلاب الحضارى الذي تتعرض له شعوب امته العربية والاسلامية من قوى البغى والعدوان الغربى والصهيونى لتظل عاجزة عن التحرك في مسار النهوض الصحيح وتظل دائرة في فلك التبعية والتغرب عن ميراثها الفكرى والحضارى النابع من عقيدة الاسلام وحضارته .

واستمر على هذا النهج الفكرى الواضح يذب بقلمه ولسانه وكل ما أوتى من حسن بيان وسعة ادراك وقوة اخلاص عن مرتكزات فكر الاسلام وتأصيل ثقافته وتشريعاته ونظم حضارته لا على المستوى الوطنى فحسب وانما تعداه الى مستوى الوطن العربى والاسلامي الكبير .

ولعل اهم القضـايا التى احتلت اهتمامه القـوى قضية فلسطين التى يعتبرها قضية المسلمين الكبرى التى كتب عنها الكثير والكثير جدا(١).

كما ان غيرها من مـآسى المسلمين وهمومهم السياسيـة والاقتصادية وتخلفهـم الحضارى قـد استـأثرت بنصيـب كبير في مقالاتـه وكتـاباتـه الاجتماعية والادبيـة والسياسية التى انـدرجت تحت التيارات الفكـرية الثلاثة التـى اوضحناها في بداية هـذه الدراسة والتى خلف فيهـا كاتبنا الاسلامـي المبدع مـا لا يقل عن تسعـة عشر كتابا تفيـض بالـوان النقد والهجوم والدفاع لمظاهر الحياة العقلية والتربوية والسياسية والاجتماعية والعسكرية في مختلف اقطـار الوطن العربى والاسلامـي التى عانت - ومـاتـزال - تعانى من مخاطـر الغزو العسكرى والفكـرى والاقتصادى والسياسـى من قوى الصليبيـة العالمية والصهيونيـة العالمية والهنـدوكية المجوسية التى وحدت قواها لايقـاف زحف حركة الصحوة الاسلامية المتنامية في مختلف اقطار المعمورة.

ولعـل مقالـة الاستـاذ احمد محمـد جمال المعنونـة «فلسطين لا تعـود بالدعاء» التى انقلها الى القارىء الكريم بنصها الموجز الآتى:

(.. اللهم أهلـك اليهود.. اللهـم شتت شملهـم.. اللهم رمـل نساءهـم، اللهم يتم اطفالهم، اللهـم اضرب عليهم الذلـة والمسكنة، اللهم ابعث عليهم من يسومهم سوء العذاب).

هذه هي دعواتنا بعد كل صـلاة جماعة بالمسجد الحرام، منذ نشوب الحرب في فلسطين الى ان قـامـت الهدنة الاولى بيننـا وبين اليهـود، ثـم

(١) انظر كتـابه «مأسـاة السياسـة العربية» الـذي يصور فيه تحديـاتها وانعكاسـاتها على مختلف الأصعدة العربية.

استأنفنا القتال ثانية وظللنا ندعو بها، حتى قامت الهدنة الثانية، ولا تزال قائمة الى اجل غير مسمى ولا نزال نحن ندعو ايضا، بهذه الدعوات بعد كل صلاة، عندما يصلى بنا إمام، وننقطع عن الدعاء حين يصلى بنا إمام آخر، فترى بعضنا راكعا، وآخر ساجدا، وثالثا بين الركوع والسجود... مضطربين حائرين لا ندري متى نقنت، ومتى لا نقنت؟

ويخطىء بعض المبلغين في بعض اركان المسجد الحرام، فيكبرون للسجود، فتسجد الصفوف الاخيرة والامام قائم!

وهذا ملحظ يجب ان نقول - عنده - لهؤلاء الناس الذين لا ينتظرون الامام حتى يقعد فيقعدوا، وحتى يقوم فيقوموا، ولهؤلاء المبلغين المستعجلين: انما جعل الامام ليؤتم به سجودا وركوعا، وقياما وقعودا، فيجب الا يبدءوا بعمل من اعمال الصلاة حتى يبدأ هو بها اولا.

وملحظ آخر يجب ان نقول - عنده - ان على أئمتنا الفضلاء ان يعينوا صلاة واحدة كصلاة العشاء مثلا - لدعاء القنوت حتى يستقر في أذهان المؤتمين ميقاتها فلا يخطئوا بسبق الامام الى السجود.

نقول هذا ونحن نعلم والائمة الفضلاء يعلمون معنا ان قضية فلسطين لا تحل بالدعاء وحده، الدعاء الذي يضطرب فيه المصلون.. فان الله تعالى يقول: ﴿ **يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** ﴾ فعلينا قبل ان ندعوا الى تشتيت اليهود، ألا نعبأ بتهديدات مجلس الامن الدولى ومراوغات المراقبين الذين دلت سياستهم في فلسطين على التحيز مع اليهود.

ثم مـامعنى ان ندعـوا على اليهود بدعـوات قد قضاهـا الله عليهم، وسجلها لهم في القـرآن الكريـم، من ضرب الـذلة والمسكنـة عليهم، وبعث من يسومهم سوء العذاب اليهم؟ (١)

تصور اصدق تصوير ماجبل عليه كـاتبنا الاسلامي القدير من حب للصراحة والوضـوح والاخلاص والنصح لله ولكتابه ولرسـوله وأئمة المسلمين وعامتهم لا يبقى من وراء ذلـك مغنما عاجلا ولا سمعة زائفة ولا نفـاقـا اجتماعيا يتسلـق بـه الى ذروة المنـاصـب في الدنيـا وانما هـو الاخـلاص اعظم الاخـلاص لنـداء فطـرة الاسلام المركـوزة في اعماق وجدانه الانسانى.

وليـس لى مااقـوله في ختـام هذه الـدراسة الا ان اطلـب من رابطـة الأدب الاسلامي العـالمية التى يرأسها سماحة المفكـر الاسلامي الكبير الشيخ ابى الحسن على الحسنى الندوى اقامة احتفال لتكريم ذكرى احد اعضائهـا المبرزين في مختلف فنون الادب الاسـلامي أسوة بما قامـت به من تكريم للكاتب القصصي الكبير الدكتور نجيب الكيلانى في رحاب المركز العام لجمعيات الشباب المسلمين بالقاهرة في شهر شعبان الماضى من عام ١٤١٥ هجرية.

فان احمد محمد جمال مـن الرواد الاوائل الذين دعـوا الى التزام منهج الادب الاسلامي منذ مطلـع شبابه حتى اتاه اليقين وهو يـرفع الصوت عـاليا عـن ازمة الفكـر الاسلامـي المعاصر وعـن ضروب التحديـات والـوان المشكلات التـى اعترضـت مسيرة وطنه العـربـى ثـم الوطـن الاسلامي الكبير من قبل اعدائهما في الداخل والخارج.

---

(١) صفحة ٢٢٨ من كتابه الصحافة في نصف عمود.

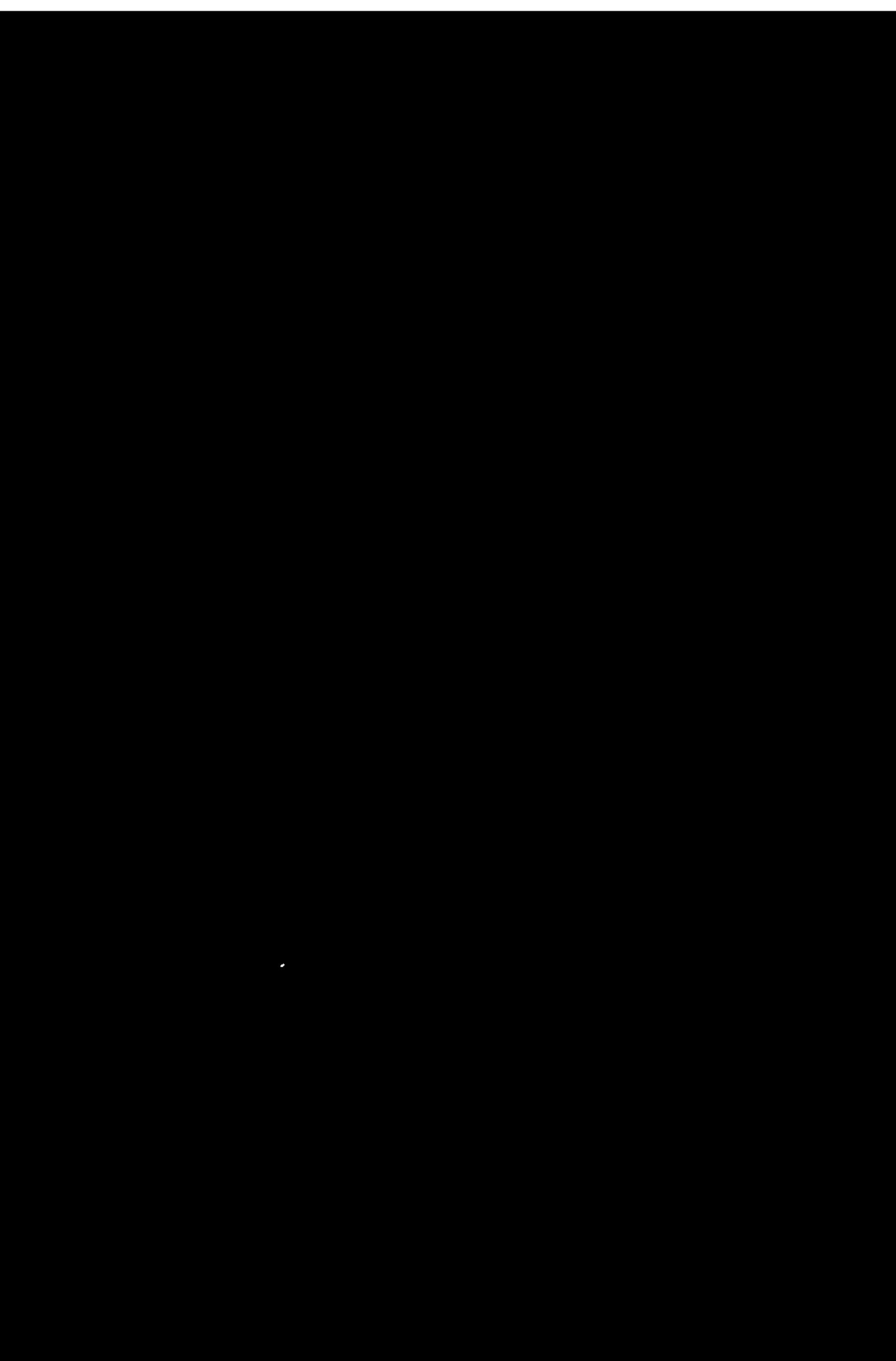


وهذا اقل ماينبغـى في حق هذا الكاتب الانسان الغيـور الذي عمل جاهـدا على تطبيق مقـولة رسول الاسـلام العظيم محمـد صلى الله عليه وسلم في حـديثه المشهور : «تركـت فيكم ما ان تمسكتم بهما لـن تضلوا بعدى ابدا كتاب الله وسنتى» .

تلك ملامح سريعة مـن المسار الأدبي لأديبنا الإسلامي الجهير أحمد محمد جمال الـذي عرفته دوائر الصحافـة ومنتديات الفكر ومـؤسسات الثقافـة ومنابـر الإعلام ومعـاهد التعليم كـاتباً وأديبـاً وناقـداً واستاذاً جـامعياً قـديراً وداعيـاً إلى تطبيق شريعـة الإسلام ومنـاهجه في الحيـاة والفكر والسلـوك أجملتها في هذه الصفحـات القلائل لجمهـرة الشباب والمثقفين من أبناء الصحوة الإسلامية ، راجياً أن تجد المسارات الفكرية الثـلاثـة الأخـرى مـن اجتماعية وسيـاسيـة ودعـويـة في التراث العقلي الخصب الذي خلفه أحمد محمد جمال من اهتمام الباحثين في قضايا الفكر الإسلامـي المعاصر مايجلوه لهم ويبين عـن خصائصه الفنية ومضـامينه ومناهجـه وأثره الفـاعل في بلورة صـورة الأدب الإسلامـي في مختلف أشكاله وقضاياه وأبعاده الثقافية والتربوية والفنية .

وتلك أمنيـة غاليـة أرجو أن يفـرغ لها طلاب الـدراسات العليـا في أقسام الدراسـات الإسلامية والأدبية في جامعاتنـا الفتية في المستقبل إن شاء الله وما ذلك عليهم بعزيز ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

محسن أحمد باروم



أحمد محمد جمال

رفيق صباي وشيخوختي

بقلم اللواء على زين العابدين
مكة المكرمة



الفصل الثاني :

- رفيق صباي وشيخوختي .
- نشاطه وكتبه ومؤلفاته .
- شعره وأدبه .
- آراؤه الصريحة .
- شخصيته الإسلامية الفذة .



٤١

رفيق صباي وشيخوختى

بقلم : اللواء على زين العابدين[١]

هـو الكـاتـب الاسـلامي الكبير ، والشـاعـر المجيـد ، والصحفـى الناجح ، والاديب الالمعى ، والمؤلـف الناضج ، العالم المدرس الجامعى علم من اعـلام البلاد العربية والاسـلامية ، ظهر في القرن الـرابع عشر وهـو اليـوم في القــرن الخامـس عشر ، مخضرم بين قـرنين ، رحمه الله ، وبارك في علمه ، ونفع به المسترشدين المستزيدين .

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٤٣ هجرية ونشأ بها ، ودرس في مدارسها حتى المعهد العلمى سنة ١٣٥٩هجرية .

هو : : احمد بـن محمد بن صالـح بن عبد القـادر بن صالح بـن عبد الـرحمن بن عثمان بـن عارف بـن محمـد جمال ويرتفـع نسبه الى الخليفـة الراشـد عمر بـن الخطاب رضـى الله عنه . كما روى ذلـك الشيخ عبـد الستار الدهلـوى رحمه الله في كتابه المخطوط «الازهـار الطيبة النشر عن الاعيان في كل عصر» الموجود حاليا بمكتبة الحرم المكى .

وأسرة جمال مـن الاسر العريقـة المكية ، وبيتهـم بيـت علم وفضـل وإمامة بمقام الحنفى ، كما جاء في «نشر النور والزهر» للشيخ عبدالله بن عبد القادر مرداد رحمه الله .

كان اجداده مـن علماء المسجد الحرام وفقهائه الذين تولـوا التدريس

---

(١) من أعز أصدقاء الفقيد وزميل شبابه وشيخوخته

فيه، واشهرهـم كان الشيخ عارف بن محمـد جمال «المتوفى عام ١١٦٣» ثـم الشيخ عبد الرحمن بن جمال الكبير بن عثمان ابن العلامة عارف جمال «المتوفى سنة ١٢٤٩هجرية» ثم الشيخ عبد الرحمن بن عثمان ابن العلامة عبد الرحمن جمال «المتوفى سنة ١٢٩٠» «نفس المصدر».

نشأ الاستاذ احمد محمـد جمال في رعاية والده الشيخ محمد بـن صالح جمال، التاجـر المعروف بشارع المسعـى، وكان يتـولى توجيهه وتـأديبه اخوه الاكبر الاستـاذ صالح جمال رحمه الله، وهـو الغني عن التعـريف كـانـت النشـأة في بيـت محافـظ على القيـم الاسـلاميـة، والتقـاليـد الاجتماعية، في مكـة المكرمـة، بلد الله الحرام، كـان اخوه - صـالح - صاحـب مكتبة الثقافـة بباب السلام، وكـانت المكتبـة حافلة بـالكتب الدينيـة والادبية والاجتماعيـة والسياسيـة، كما كانـت منارا للصحـوة الادبيـة في مصر، والبلـدان العربيـة وبـالمجـلات، وفي مقدمـة تلـك المجـلات مجلة «الـرسالـة» وكان مـن بين كتابها الـدكتور طـه حسين، والـدكتور زكـى مبارك والاستـاذ الكبير على الطنطاوى، والحفيـف، وغير هـؤلاء مـن اسـاطين الادب في العـالم العـربـى، وكـانـت مجلـة «المقتطف» الحافلـة بالعلم والادب توزع في مكتبـة الثقافة، إلى جـانب المجلات الأخرى كـ «الاثنين» و«آخر ساعة» و«المصور».

محور هذا الحديث هو شقيق صاحـب المكتبة الطالب الابتدائى، ثم المعهدي، احمد محمـد جمال، كان هذا الطالـب يلتهم الكتب التهـاما، وينكب على قراءة المجلات الادبية انكبابا، وقد كان الكثير من الشباب يعجـزون عن شراء كتـاب او مجلة، اذ تبلـغ القيمـة للكتاب او المجلـة نصف ريال، او ثلاثة ارباع الريال، ولكن صاحبنا احمد كان معافى من

ذلك العجـز، فالكتب الادبيـة والمجلات في مكتبة اخيـه الذي يحرص على تثقيفه وتعليمه.

ما حال شـاب في مقتبل العمر، يقرأ الادب في كبريـات المجلات، وينهل العلـم من مناهلـه سهلا ميسـورا، لابد ان يكون على سعـة من الاطلاع، تجعله يفوق الكثيرين من أقرانه ولداته.

تعرفـت على هذا الشـاب الاديب، احمد محمـد جمال في الحرم المكى الشريف، في حصوة باب السلام عـام ١٣٥٩هـ، أذ صحبنى الصديق الزميـل عبد العزيز الـربيع(١)، ذات يوم، قـائلا، سأعرفك بصـديق جديـد، وتم التعـارف في دقائق، فقـد كان الصـديق الجديـد: باسـم الوجه، طلـق المحيا، ترتسم الابتسـامة البريئة على شفتيه، رحـب بى مسلما، واخذت مكانى الى جواره، وعبد العزيز الربيع يقدمنى اليه.

واكتشفت في الصديق الجديد شاعرا مـوهوبا، بليغ العبارة، سلس الاسلوب، عذب الالفـاظ، عميق المعانى، واسع الثقـافة، على صغر سنه، محتشما حييا مؤدبا.

كنـت في السنة الاولى بمـدرسـة تحضير البعثـات، وكان الصـديـق الجديد في السنة الاولى من المعهد العلمى، وكـانت سنة الميلاد لكل منا واحدة هي ١٣٤٣ هجرية.

العمر متساو، والميول متفقة، والبيئة ملتزمة، فلم لا يتفق الاثنان؟ ولم لا تنشأ بينهما صـداقة استمـرت من عام ١٣٥٩ حتـى يومنـا هذا - فروحه الطاهرة مازالت معى صديقة حميمة.

---

(١) عبدالعزيز الربيع رحمه الله من رجال التعليم ومن أدباء المملكة العربية السعـودية كان مديراً للتعليم في المدينة المنورة.

فماذا عرفت في هذا الصديق الجديد احمد محمد جمال، طيلة هذه الحقبة الطويلة من الزمن؟ وحتى يوم وفاته رحمه الله.

كان أحمد جمال شاب مستقيم الخلق والسيرة والسلوك، ليس كغيره من عامة الشباب، لم يكن صائعا ولا ضائعا، لم يكن من المتسكعين في الحارات، يلعبون في الازقة، يتعرضون لاذى من لا اخلاق لهم من الناس، كان مصونا في اسرته التى حددت له غدوه ورواحه، من الدار الى المدرسة صباحا، ومن الدار الى الحرم مساء، لا انطلاق ولا انفلات، فعمره إذ ذاك كان في السادسة عشر، سن المراهقة التى يجب ان يحافظ فيها على سلوك الاولاد، فهي السنة التى يحدث فيه الانحراف، اذا لم يضبط السلوك في بدايتها.

كنت كمثله في هذا البرنامج اليومى: صباحا في المدرسة، ومساء مع احمد محمد جمال، اذهب الى داره في الساعة الحادية عشرة نهارا(١)، أي قبل المغرب بساعة، ونجلس في غرفة في الدور الارضى من المنزل، نشرب فنجانا من الشاى، نتدارس اللغة العربية، نستعرض ماكتبه الاستاذ احمد حسن الزيات في افتتاحية «الرسالة» وما اجمل وابلغ ماكان يكتبه الزيات، نستعرض اسلوب زكى مبارك اللاذع الساخر، يلمز فلانا، ويغمز آخر، ولشد ماكان يعنف في مقالاته الدكتور طه حسين، ويوقع مقالته الناقدة او الثائرة الموجهة لطه حسين: تلميذك وزميلك وصديقك الدكاترة زكى مبارك.

نقرأ شعر «الخفيف» وكان خفيف الظل كأسم صاحبه، وشعر محمد حسن اسماعيل، نقرأ في «المصور» او نناقش ماكتبه فكرى اباظة،

---

(١) حسب التوقيت الغروبي الذي كان سائداً آنذاك قبل تغييره للتوقيت الزوالي.

وماكـان يقترحه في اسلـوبه القوى المرح، واحيـانا نتطـارح الشعر، او نتساجله، حتى تمضى الساعـة ويحين وقت صلاة المغرب، وكانت دار أخى احمد جمال في المسعى، تقـابل «باب السلام» بـانحراف غير بعيد، نتجه معـا الى الحرم، نصلى المغرب، نطوف سبعا، نعـود الى مجلسنا في حصـوة بـاب الســلام، حيـث يستمـر حـديـث الادب عما كتـب في الصحـف المحليــة، ولم تكـن اذ ذاك إلا جـريـدة «صـــوت الحجـاز» الاسبوعيـة، و«ام القرى» وجـريدة «المدينة المنـورة» في سنتها الثـالثة، وكانت اسبوعية -ايضا- كان سعر العدد من تلك الجرائد قرشا واحدا «أثبت هذه للمقارنة والذكرى».

أحيانا يمر بنا صـديقنا الثالث عبد العزيز الربيـع، يشاركنا المجلس الادبـى، وكان عبـد العزيـز الربيـع حجـة في اللغة العـربية، صرفهـا وقواعدها، وبلاغتها، كان كثير الاطلاع واسع المعرفة.

وفي بعض الاحايين نحظى بالصديق الـرابع عبد العزيز منصورى، وهـو زميل في الـدراسـة، نجل استـاذ اللغـة العربيـة الاستـاذ صدقـة منصـورى، وعلى مقربـة منا في الحصـوة المجاورة يتربـع شاب اسمـر اللون، وسيم الملامـح، يجلس وحيدا منعزلا عـن الناس اجمعين، وتم التعـارف بيننا وبينـه، كـان ذلـك الشاب هـو الشـاعـر حسن عبـدالله القرشى، وكان -ايضا- في بدايتـه الشعرية، ولكنه لم ينضم الى الثنائى الاخوى احمد وعلى، هذا الثنـائى الذي لا يتغيب يومـا ولا ينفصم هذا الثنـائى يكون ثـلاثيـا بانضمام عبـد العـزيز الـربيـع، مرة أو مـرتين في الاسبوع.

ويكون هـذا الثنائى -ايضا- رباعيـا في عصاري ايام الجمع عنـدما يجتمع: احمد، وعلى، وعبـد العزيز الربيـع، وعبد العزيـز منصورى،

لنخرج صحبة الى حديقة المسفلة(١)، حيث كانت مخضرة زاهية نضرة تبهج النفوس، وتشرح الصدور بجمال منظرها، فهي واحة في صحراء.

كان الشاعر المبدع الاستاذ حمزة شحاتة وجماعته، القنديل(٢) والمغربى(٣) وهم من الرعيل الاول يجلسون كجلستنا بعيدا عنا، نرقبهم ونشهدهم ونتمنى ان نكون -ذات يوم- امثالهم في الشعر والادب والشهرة، كانت حديقة المسفلة متنزه اهل مكة تلك الايام، وكان يقصدها كثير من شباب مكة في ايام الجمع، نشرب الشاى، ونتنشق النسيم العليل، ونتبادل احاديث الادب، حتى يحل وقت صلاة المغرب، فنصلى جماعة، ثم نعود الى الحرم، لندرك صلاة العشاء، ثم ينصرف كل منا الى داره، هذا جانب من بيئة احمد جمال في حياة لا لهو فيها ولا عبث، لا انطلاق ولا ابتذال، يحوط ثلاثة اصدقاء، كل منهم له اخلاقه ومميزاته الشخصية المتوائمة مع اخلاق صديقهم الرابع احمد جمال.

كان له من الزملاء في المعهد، وتحضير البعثات، نفر آخرون عرفوا بحسن سلوكهم، وميولهم الادبية، كالشاعر المبدع سراج خراز، والشاعر المطبوع سراج مفتى، والشاعر والاديب عبد العزيز الرفاعى، والشاعر عبد القادر جان، وامثالهم ممن غابت عن ذاكرتى اسماؤهم، كان احمد جمال يلتقى بهم في المدرسة، واحيانا في مناسبات، وكان هؤلاء صفوة طيبة من الزملاء الذين يمثلون جانبا آخر من بيئة احمد جمال.

---

(١) حديقة المسفلة في أسفل مكة جهة كدي كانت منتزهاً.
(٢) هو الشاعر السعودي أحمد قنديل -رحمه الله-.
(٣) والمغربي هو الأديب رجل الأعمال الشيخ محمد على مغربي أمد الله في عمره.

كانت لهذه المجموعة الطيبة ومعها آخرون تصدر مجلات دورية مخطوطة باليد في مقدمتها «رسالة الناشئة» التي يحررها اخي احمد، وصديقي عبد العزيز الربيع، و«صوت النشء» التي يحررها الصديق والزميل محمد حسن غسال، والمجلة المثالية «الفجر» يصدرها ويرأس تحريرها الشاعر الاديب الرقيق الزميل ابراهيم فودة، ومجلة «الفضيلة» التي كنت اتولى اصدارها وتحريرها.

كان اخي احمد من رواد هذا العمل الادبي الجريء، وكان تارة يكتب افتتاحية مجلة «رسالة الناشئة» وطورا يكتبها الاديب اللوذعي عبد العزيز الربيع، ثم قمت شخصيا بكتابة الافتتاحية، بعد ان تخلى كل من الزميلين الرائدين احمد والربيع عن ذلك.

كنا نستمع الى احمد جمال شاعرا يتغنى بقصائده في النادي الادبي، وكل خميس في القلعة مجمع تحضير البعثات والمعهد العلمي، كان احمد شاعرا مجيدا بليغا في صياغة الشعر -كما اسلفت- وكانت قصائده تقابل بالاستحسان والتصفيق.

ولاحمد جمال كنا نقرأ مقالات ادبية دبجها يراعه السيال على صفحات جريدة «صوت الحجاز» تارة باسمه الصريح، وطورا باسمه الرمزي «الفتى المعهدي» وكان لمقالاته كثير من القراء من مثقفي الجمهور يشار اليه بالبنان كلما سار في طريق «هذا هو الفتى» كان ذلك وأديبنا الصغير سنا الكبير فعلا وعلما وادبا لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره - يرحمه الله.

وترك اديبنا الدراسة لينخرط في سلك الوظائف، فبدأ اول مابدأ بوظيفة في رئاسة القضاة بمكة في المحكمة الشرعية، ثم إدارة كاتب

عـدل، تقلب في هـذا الدوائر القضـائيـة لمدة عشر سنوات، لابـد انها أثـرت في اتجاهـاتـه الادبيـة، فنقلتهـا مـن الادب والشعـر الى الاتجاه الاسلامـي الدينـى الذي حـول شاعـرنا الى كـاتب اسـلامى، يتغنـى بالاسـلام وامجاده، وبالديـن وارشاده، يوجـه الناس الى طريـق العزة الاسلاميـة، والفضائل المحمديـة، وشاء الله تعالى لـه ماشاء مـن ترك مانفعه محدود الى مافيه خير ورفعة وسـؤدد ورشاد وهداية من دين رب العالمين، وهدي رسوله الامين.

وفي عـام ١٣٧٠ هجريـة انتقل مـن هذا الـوسط الـدينى الى وسـط علمي بوزارة الداخلية مديرا مساعدا لادارة الثقافة والتعليم.

إنها حكمة الله عـز وجل شاءت ان ينتقل هـذا الرجل الـذي صقله الوسط الدينـي وترك بصماته على ثقافته وميوله واتجاهاتـه، وحوله من كاتب شاعر الى عالم متفقه مـاهر، شاءت الحكمة الالهية لهذا الرجل ان ينتقل الى وسط ثقـافي تعليمي، كأنما أعد في الوسـط الاول ليكون عالما وفي الـوسط الثـاني ليكون معلما ومـوجهـا، ولا شك ان هـذا الوسـط الثقافى أثر تـأثيراً آخر في تكوين شخصية اديبنا وعـالمنا الكبير، فخرج بخبرة المعلم والموجـه، ليكون لـه شأن آخـر ورسالـة اخرى في حيـاته وحياة امته الاسلامية.

وتتدخـل حكمة الله مرة اخرى، في تـوجيه هذا الرجـل، واعداده إعدادا جديدا، ليكون مـديرا لادارة الجوازات والجنسية بنفس الوزارة التى عمل بها، قـد يقول قائل: وما هي الخبرة التى يستفيـد منها رجل اعد إعـدادا اسلاميا ودينيا وثقـافيا وتعليميا حينما ينقـل عمله الى إدارة الجوازات والجنسيـة؟ فـأقـول: ان إدارة الجوازات والجنسيـة تـزخـر

باصناف البشر من مواطنين ومستوطنين ووافدين مختلفي الجنسيات والنزعات والنيات والثقافات والطموحات، ان المدير العام لهذه الادارة سيحتك بكل هذه الطوائف المتباينة سيطلع على هوياتهم وطلباتهم.

وسيستمع الى احاديثهم سيستشف حقائق عن سلوكياتهم، ويفيد خبرة في فهم فئات من الناس، فيتحقق له من ذلك معرفة من يستحق ان يبقى في البلاد مقيما عاملا ومن يستحقه ان ينفى من الارض، ومن طالبى الجوازات من المواطنين يتعرف على البلدان التى يريدون زيارتها ومن ذلك يدرك نوعية المواطن اذا كان مسافرا لمغنم او مغرم فاذا كان من النوع الثاني فهو مواطن طالح يحتاج الى توجيه وارشاد! تتفاعل كل هذه الافكار عند مدير إدارة الجوازات والجنسية: فيعمل على ضوئها رسميا وماخرج عن الرسميات يحتفظ به -مدير الادارة- احمد جمال في نفسه ليجد الفرصة ذات يوم ليوجه نصحه الى امثال هؤلاء الذين يتخذون السفر الى الخارج وسيلة للخروج عن تعاليم الدين الحنيف، ولاضاعة الشرف العربى في بلدان الضياع!

لا شك في ان هذه الوظيفة قد أثرت في نفسية الموظف الذي يحمل بين جنبيه قلبا صالحا يتوق الى نشر الفضيلة بين المواطنين وبين غيرهم من امة الاسلام.

وبهذه الوظيفة يختم الاستاذ احمد جمال جولته الطويلة في مجالات التجارب، واكتساب الخبرات ليخرج بمحصولها يوما ما في كتب قيمة تعالج كل مالمس ورأى مما يسر ولا يسر! يختم الاستاذ هذه الجولة في عام ١٣٧٥ هجرية! عندما صدر مرسوم ملكى بتعيينه عضوا في مجلس الشورى.

نشاطه وكتبه ومؤلفاته

بعد ان اكتمل للاستاذ احمد ماأراد الله له من علم ودراسة وثقافة وتجارب هيأ الله له فرصة الانتفاع من علمه، ونفع الناس به، فاختير استاذا للثقافة الاسلامية عام ١٣٨٧ هجرية، بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وظل حتى نشأت جامعة ام القرى بمكة: فانتقل اليها مدرسا لمادة «تفسير القرآن الكريم» حتى وفاته يرحمه الله.

وهو -الى جانب عمله بالجامعة- عضو بمجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي! الذي اختاره عضوا خبيرا بالمجمع منذ عام ١٤٠٦ هجرية.

كما أشرف على إصدار مجلة «التضامن الاسلامي» (١) بوزارة الحج والاوقاف.

ويقوم -ايضا- بالاشراف على اصدار كتاب «دعوة الحق» شهريا برابطة العالم الاسلامي.

واجهزة الاعلام المحلية والخارجية تشهد للاستاذ احمد جمال بمدى نشاطاته الواسعة الرائدة والمفيدة، فطالما زخرت صحفنا المحلية والخارجية بالمقالات الادبية والدينية التي يدبجها قلم الاستاذ الكاتب الاسلامي الكبير احمد جمال.

ومنذ تأسيس رابطة العالم الاسلامي بمكة الشيخ احمد محمد جمال -رحمه الله- يمثلها في عديد من المؤتمرات والدورات والندوات الاسلامية، في آسيا وامريكا واوربا وأفريقيا واستراليا.

---

(١) حالياً باسم مجلة الحج بعد أن تم إعادة مسماها السابق.

ومما هو جدير بالذكر ان جلالة الملك فيصل -رحمه الله- عندما كان وليا للعهد، ورئيسا لمجلس الوزراء، اختاره عضوا في لجنة «نظام الحكم» برئاسة سمو الامير مساعد بن عبد الرحمن، وقد قدم الاستاذ الكبير احمد جمال مشروعا لنظام الحكم يجمع بين أحكام الشريعة الاسلامية والاساليب العصرية للحكم، وكان ذلك في عام ١٣٨٢ هجرية.

إن هذه اللفتة الكريمة من الملك فيصل لدليل ناصع على مدى تقدير جلالته الكبير لهذا الاستاذ الكبير، الذي لم يتم عامه الاربعين من عمره المديد المليء بالخير -ان شاء الله تعالى- إن ذلك لتقدير وتكريم من جلالة الملك فيصل الذي أدرك بثاقب نظره فحولة هذا الكاتب المصلح الذي لا يني عن تقديم كل الخدمات لدينه ومليكه ووطنه.

بعد هذه الفذلكة - رب قائل يقول: ما الذي تركته كل هذه الدراسات والوظائف والندوات والمؤتمرات وتلك التجارب الادبية والصحفية من بصمات على شخصية الاستاذ احمد محمد جمال؟ ماذا ترك الاستاذ احمد للتاريخ، ليشهد انه عمل للاسلام ولامته وللامتين العربية والاسلامية اعمالا جليلة نافعة خالدة ينتفع بها شباب الحاضر والمستقبل؟ فنقول جوابا عن السؤال الاول:

إن ماتركته تلك المؤتمرات من بصمات على شخصية الاستاذ احمد جمال ان جعلت منه شخصية علمية ادبية رائدة في مجالات عديدة اخذت مكانها بين اعلام هذا الجيل: استاذا ومدرسا جامعيا واديبا وشاعرا ومفكرا وموجها اجتماعيا ودينيا، وكاتبا اسلاميا موفقا.

وجوابا عن السؤال الثاني نقول: ان الاستاذ احمد جمال ترك للتاريخ

ماتشهـد له الاجيـال المعاصرة والمقبلـة بانـه عالم استفـاد وافاد واجـاد ووجه وارشد، وعلم شبابا، وضرب أروع الامثلـة للرجل المكافح في سبيل الـدين والعلم والمعـرفة والمجتمـع بتوفيق الله -أولا- ثـم بعمله الجاد، ليل نهار، حتى اصبح منارا يضيىء لمن حـوله بمؤلفاته في شتى فنون المعرفة، فمن مؤلفاته:

١ - على مائدة القرآن: دين ودولة «ثلاث طبعات».

٢ - على مائدة القرآن: مع المفسرين والكتاب «طبعتان».

٣ - محاضرات في الثقافة الاسلامية «ست طبعات».

٤ - مفتريات على الاسلام «اربع طبعات».

٥ - كرائم النساء: نماذج اسلامية رائعة «طبعتان».

٦ - استعمار وكفاح: ابحاث سياسية وتاريخية.

٧ - نحو سياسة عربية صريحة: ابحاث سياسية وتاريخية.

٨ - وداعا أيها الشاعر.

٩ - سعد قال لى: قصص اجتماعية.

١٠ - ماذا في الحجاز: تراجم ونماذج أدبية.

١١ - مجتمعنا كما ينبغى ان يكون.

١٢ - الاسلام اولا.

١٣ - من كشمير الى فلسطين.

١٤ - من اجل الشباب «طبعتان».

١٥ - الشباب: دراسات ولقاءات.

١٦ - مأساة السياسة العربية.

١٧ - نحو تربية اسلامية.

١٨ - الاقتصاد الاسلامي .
١٩ - الجهاد في الاسلام .
٢٠ - نساء وقضايا .
٢١ - تعليم البنات بين ظواهر الحاضر والمستقبل .
٢٢ - فكرة الدولة في الاسلام .
٢٣ - خطوات على طريق الدعوة .
٢٤ - نساؤنا ونساؤهم .
٢٥ - قضايا معاصرة في محكمة الفكر الاسلامي «طبعتان»
٢٦ - مأدبة الله في الارض «طبعتان» .

هذا مااستوعبته ذاكرتى ، وغير ذلك موجود ومطبوع ، ومنها ماهو تحت الطبع ، انها كتب قيمة تناولت موضوعات شتى لا يغيب عن المتفرس ماتحويه تلك الكتب ، وكما قيل : الكتاب يقرأ من عنوانه .

إننى أرى أن ماذكرته من عناوين الكتب التى تركها الاستاذ الكبير والمؤلف المتقن ، غنى للقارىء عن ذكر محتوياتها ، ولو اتيح لى من الوقت اكثر لشرحت للقارىء ، وناقشت معه بعض تلك المحتويات الرائعة المفيدة التى لا تخلو من فائدة كبيرة ، سواء كانت في الدين ، أو السياسة ، او التوجيه الدينى ، أو التربوى ، او الاقتصادى ، او النسوى ، إلا اننى سألمس بعض الجوانب من تلك الكتب لمسا خفيفا كأمثلة رائعة تبرز حقيقة علم هذا الرجل .

ان الاستاذ الكبير احمد محمد جمال بهذه الكتب القيمة أدى رسالة العالم الناصح والمواطن الصالح ، والمعلم الناجح ، فقد اصبحت كتبه منتشرة في كثير من البلدان العربية والاسلامية ، تقبل عليها الجماهير

بلهفة، حتى غدت تنفذ طبعاتها من الاسواق في زمن قصير، فيعيد الاستاذ طبعها ثانية، وثالثة، ورابعة، وخامسة، وهذا الاقبال من القراء، وتكرار الطبعات دليل على ان الجماهير القارئة ادركت قيمتها التأثيرية في نفوسهم، تأديبا وارشادا وتعليما وتوجيها.

ان الاستاذ احمد يكتب باسلوب سهل سلس شيق يستحث القارىء على المضي في القراءة دون ملل، يتخذ في اسلوبه طريق الاقناع ويسوق الادلة من القرآن الكريم، ومن الهدي النبوي الشريف، ومن اقوال الصحابة والتابعين، ثم يعمد الى الاحداث المتتابعة في حياة الناس اليومية، ويستخلص منها الادلة الدامغة على صدق مايقول ومايكتب ومايدعو اليه.

ان كتابا بهذه الطريقة لجدير ان يقتنى، وان ينال من الاقبال ما لا يناله كتاب آخر، كتب باسلوب ممل ولغة صعبة او ركيكة، ثم ذلك نجد المؤلف يهرف بما لا يعرف، ولا يدرى القارىء الى اين سيصل به صاحب الكتاب، الهدف غامض، والاسلوب لا يهدى الى الغاية، بيد ان كتب شيخنا احمد تبلغ من الوضوح درجة تجذب قراءه وقد لا يكون مستواهم العلمي بالغا حد النضج، ولكن موضوع الكتاب واسلوبه يشوقان القارىء للاستمرار ثم التكرار فيدرك من الفائدة ما لا يدركه في بعض الكتب المماثلة في الغاية والهدف.

شعره وأدبه

والشعـر مـوهبة تصقـل وتهذب وتـوجـه، ولم ولن يكـون الشعـر مكتسبا، فكـم من ادبـاء فحول كتـابتهم اعجـاز، حاولـوا ان يقولـوا الشعر، فلم يـوفقوا، منهم الاستاذ الكبير احمد حسن الـزيات، رئيس تحرير مجلة «الرسالة» الـذي كان بليغا فصيحا، رائع الاسلوب، عذب الالفاظ، يختار موضوعاته اختيارا، ويفـرغها في قالب بلاغى ساحر، اعجب به الادبـاء والشعراء، انه مع مـاأوتي من قوة البيان، وفصـاحة اللسان، حاول قرض الشعر، فاكدى واخفـى مانظم، وقال مامعناه: لقد حـاولت نظـم الشعر، فتمخضـت محاولتى عـن بضعة أبيـات من غيره.

يتأثر بكل مايراه ومابنزل به وبغيره، ويتألم او يفرح اكثر ممن سواه، ولـه القدرة على التعبير عـن ذلك بكـلام موزون «مـوسيقى» مقفـى، يهيمـن عليه الخيـال الخصب، والـرؤيـة البعيدة، ويختـار من الالفـاظ رقيقها، ومن المعـانى بديعها في اسلـوب يؤثر في السامـع، ويتسلل الى اعماقه، ويثير احاسيسه، فيشارك الشاعر في تأثره فيفرح بفرحه ويبكى لبكائه، ويستطيـع الشاعـر ان يجعل من الخيـال حقيقة، ومـن الاحياء امواتا، ومن الموتـى احياء، كل ذلك في تصوير رائع اخـاذ لما يجيش به قلبه واحساسه.

هـذه الموهبـة أو هـذه النظـرة تسميها العـرب شعـرا، وصـاحبهـا شاعـرا، هذه الموهبـة العجيبة تفجـرت عند استـاذنا الكبير احمد جمال

وهو في الثالثة عشرة من عمره فصدح بـالشعر انغاما والحانا عبرت عن معانـاته في الحياة، وعـن امنياته وطموحـاته، كما عبرت عن مشـاعره نحو العروبة ومـاتعانيه من انقسامات وانهزامات امام اعـدائها من امم الغرب المتـآمرة، نوه بمصر وأشـاد بافضـالها على الامة العربيـة، وندد بالاستعمار الاجنبى لبلدان عربية رزحت تحت الاستعمار.

ظهر في شعره الايمان بربه، والثقـة به، والالتجاء اليه في كل الملمات كما صور عفته وطهارته وهو في سن المراهقة.

وخلاصة القـول انه جال وصال بشعره في كثير مـن المجالات وهو مازال غض الشباب في اوائل العشرينات من عمره.

ولنبدأ بما قاله الشاعر عن نفسه في قصيدة عنوانها: من أنا؟

ويـانفسُ ان اسـألـك عمـن أكـونـه
فلسـت ببـدع في الـذي انـا سـائلـه

ألسـت الـذي يـؤذيـه في الشرق ان خلـت
بـه حقـبٌ، والغـربُ فيهـا يخاتلـه

ينـا شلـه امجادَه، وعلـومـه
ويغـدو اليـه نـاسيـا مـاينـاشلـه

ويكـربنـي ان اشهـد الغـرب يـدعـيّ
جهـالـة هـذا الشرق وهـو يجاملـه

***

ألسـت الـذي لا يـرتضـي الخسر صفقـةً
لامتـه في كـل امـر تحاولـه

ألسـت الـذي يـأسـى على سـالـفً لنا
مكـارمـه مشهـورة وفضـائلـه

وهـل أنـــا إلا مـن على العـــرب احصرت

قصـــــائده حفـــــازةً ومـــــآملـــــه

بلى اننـــى يـــانفـــس مـــا أنـــا ذاكـــر

وعنـــدى على حبـــى العــــلاء دلائلـــه

فهـــــذى قـــوافىّ الحرار شـــــواهـــدٌ

صحـــاحٌ على صـدق الـــذي انـــا قـائلـــه

وهــــذى مقـــالاتـــى الغــــزار تقـــرُّلى

بـــان اليراع الحر مـــــا انـــــا حـــاملـــه

وأن الضمير الحى مسربُـــــه دمـــــــى

وفي امـــــره لله مـــــا انـــــا قـــــائلـــــه

هذا هو احمد جمال، الشـاعر المبدع، الذي لم يتجـاوز السادسة عشر مـن عمره، يسـأل نفسه عمـن يكون، فيجيـب بانـه هو الـذي يؤديـه مايـريده الغـرب للشرق من أذى، ومـا يبيته لـه من مكـر، ومايـدعيه الغـرب لنفسه مـن امجاد هي - في الحقيقـة امجاد بنـاها الشرق ورفعهـا ونشرها في سـائر ارجاء الـدنيا، ثم يـرمى الشرق بـالجهالـة، فيغضب الشاعر لهذه المغالطة الغريبة والادعاء الباطل فيقول:

ألســت الـذي لا يـــرتضـى الخسر صفقـةً

لأمتــــه في كـــــل أمــــــر تحاولــــه

ثم يؤكـد لنفسه انه هو صاحب القـوافى الحرارً، والمقالات الغزار، وانه يحمل اليراع الحر الـذي يدافع عن امته، ويشيـد بعظمتها، وانه لا يقول ذلك من فراغ، ولكن ضميره الحي يلهمه كلمة الحق:

وإن الضمير الحى مسربــــه دمـــــى

وفي أمــــره لله مــــا أنــــا قــــائلـــه

لله هـذا الشعـر المتـدفـق من شعـور صـادق يسري في دم الشـاعـر النشء، ستـة عشر ربيعا، كيف استطـاع هذا الناشـىء ان يجيد التعبير شعرا ويصوغه من اجل امته ذهبا ودرا، ويصوبه في وجه اعدائها، نارا وجمرا؟ من أيـن له هـذه الثقافـة الواسعـة، والوعـى الكامـل، واللغة الفصيحة والاسلوب القـوى، وهو في هذه السن الصغيرة، تـرى هل يتأتي لابـن السادسة عشرة في ايامنـا هذه ماتسنى لاحمد جمال في نشـأته الطيبة المباركة علما وشعورا؟

وهاهو الشاعر الناشىء التقي تنزل به محنة، ويفتك به ظلم، وينتابه حزن، فلا يشكـو ذلك لاحد من الصحـب والاهلين، ولكنه يلجأ الى من بيده ملكوت السماوات والارض القادر وحده على كشف ما أصابه من ضر، فيقول:

ربـــاه اظلمـــت الـــدنيـــا عليّ فـــلا
نـــور يضـــيء ولا عــــدلٌ ولا حــــدب
ربـــاه ان فـــؤادي الغـــضَّ صـــارخـــةٌ
بـه الكلـــوم الـدوامـــي فهـو مصطحـب
ربـــاه اشكـــو اليـــك الظلـــم يـــوقعـــه
بـــي اقـــربـــون، ومنـــك النصر ارتقـــب
ربـــاه مـــابليـــالى الانـــس لى شغـــفٌ
وليـس بـى مـن قنـــوطـى - خلفهـا دأب
ربـــــاه ان حيـــاتي جـــــد جـــــاهمة
في حين مثلى مـــوســـوع لـــــه اللعـــب
ربـــاه حتـــى الشيـــوخَ الـــرذل مـــارحـــةُ
نفـــوسهـــم ولها في اللهَـــو مضطـــربُ

ربــاه فليــــك منــكُ اللطـــفُ في قــدر

قـــد شئتــــه لشبــــاب حقّـــــه الحدبُ

هكذا إذن أنت يا أحمد، تبطش بك عـادّيات الزمن، وتقسو عليك الايام في صبـاك اليافع «ستـة عشر عاما» وتتجهـم حياتك، فـلا تلجأ للهو واللعب والسلوة، كما يفعل من هم في مثل عمرك، انك تلجأ الى الله ربك، رب العالمين، تبثه شكواك، وتسـأله اللطف فيما قدره لك، إذن لقد كنـت مفطورا على التقـوى والايمان، فأثابـك الله بعلم نـافع، وقلـب خاشـع فـأصبحت داعيـة لله، تـدعو على بصيرة، فتـح بها الله عليك، فكنت من خيرة الشباب كما أنت بالأمس من خيرة الشيب.

تبصر ايها القـارىء في سيرة هذا الشـاب الذي نشـأ في عبادة ربـه، كيف من الله عليه من هدى وهداية ورشد ودراية؟

اسمع مايقول الناشىء الصغير في أبيات عنوانها «صلاة»:

ربـــاه اني بمــــلء القلــــب لا بفمــــى

أقـــولُ نحــوك تفــوَيضــى وتَعْــويلى

وأن لي الثقـــــة العليـــــا بما ملكــــتْ

يــــداك لا بـــالــــذي يجنيـــه تحصيلى

وإننــــــى منــــك راجٍ ان تخولنـــــي

تقـــــواك سراً وجهـــــراً في مفــــاعيلى

لـك البشرى يا احمد، لقـد اعطـاك الله ماسـألـت، فـأنت تقـي في شبابك، وفي مشيبـك، في سرك، وفي جهرك، لا ازكيك على الله، انما ذلـك مانحسبـه استجابـة لدعـواك، إذ يقول عـالم الغيب والشهـادة: «ادعونى استجب لكـم» ولقد انجز الله ماوعد، فحسن ظنـك بالله هو

سر نجاحك وتوفيقك، ألم تقل عندما احرقتك الحمى بنيرانها، وانت شاب:

أيها الحمـــى لقــد احـــرقْتنـــي
وذوى مــن وقــد نيرانـــكَ غصنـــي
أنـــا لم يضجـــرْ فـــؤادىَ منـــك بـــل
لم يســـؤْ في رأفـــة الـــرحمان ظنـــي
فحنـــانيـــــك الهى، واهـــــدني
مـــن ذنـــوبـــي ربما لم تـــرض عنـــي

فاذا كان ايمانك بالله قويا، وظنك برأفته ورحمته حسنا، وانبت اليه في كل امورك، فاطمئن لرضاه، انه يهدي اليه من ينيب، فلقد قلت:

ســـأصبر نفســـي دون ريـــب ببـــارئى
واستر حسّـــــى بـــالاذى لا اكلـــم
فللـــه - لا أهلى ولا ذي صـــداقـــة
شكـــاتـــي، ففـــى ألطـــافـــه اتعشـــم

وهـذا هو الايمان الحق فـأنت لا تشكـو ما أصـابك مـن أذى، ولا تتكلم به لاهلك ولا لاصـدقائك، انما شكـواك لربك الذي تـرجو منه اللطف، نعم الصبر بالله، ونعم اللجوء إليه، ونعم الرجاء فيه.

أيها القارىء الكريم الا تستشف من هذا التوجه الى الله من شاب في مستهل الشبيبة حقيقة الحب الالهى في قلب هذا المؤمن الصادق؟

إذن فهـو في مقبل عمـره سيكون لله عـابـدا ولدينـه داعيا، ولامـة الاسلام نـاصحا، لقـد كان احمد كما رسم لنفسـه طريـق الهدى والتقى الذي شاءه له مولاه، يسير على النهج القويم، والمنهج الحكيم، سعيدا بلقاء رب أنار فؤاده، والهمه رشده.

لنلقى نظرة على شعره، بعد ان بلغ الثمانية عشر عاما، لنرى مابلغت انفعالاته الشبابية في هذه السن، وهو المستقيم العف التقى، هل مال قلبه الى فتاه استهوته، وتيمته بغرامها - كبشر - يهفو الى الجنس الآخر، فانصرف قلبه بها، وشغلته عن تقواه، ولو بالفكر والاحلام؟

هذه قصيدة له بعنوان «عروس احلامى» لنرى من هي؟ وأين تقيم؟ وماهي اوصافها التي استهوت قلب الناشىء في عبادة ربه؟

أتمنى - وقد خلت لي ثمان
بعد عشر سنين من ايامى
كاعباً ذات غَيرة في هواها
وحفاظ في وِدها والذمام
وكمال في دينها وحجاها
وجمال في وجهها والقوام
أتبَنَّى بها حلالا كزوج
لا حراما باسم الهوى والغرام
رب إنى ارجوك وحدك إعثارى
عليها فقد كبَتْ اقدامى
ويكاد الغرام يطرُقُ قلبى
وهو قلبٌ خصمٌ لكلِ حرام
رب هب لي زوجى واصلح شبابى
بهواها، وحيه بالسلام
إن في النفس شهوة تتلظى
بِضرامٍ والزوجُ بردُ الضرام

لســـت أبغـــى نقْــع الغليـــل بحـــب
لفتـــــاة انـــــالهُا بـــــالحرام

لم نجد لعروس احلامك وجودا حيا امامك، لم تشغف به حبا كلما رأيتها او لمستها او قبلتها، انها حقا عروس احلام، وليست كائنا مجسدا.

إذن انت لم تذق النوى، ولم يحرقك الغرام بفتاة ماثلة بين عينيك تتهادى بين يديك، حاشاك فأنت عف كريم، وقلبك خصم لكل حرام. ما أروع هذا التقى، وما أعظم هذا القلب، الذي اتخذ الحرام خصما، انت في الثامنة عشر، ووسامتك التى حباك بها الله مطمع لكل فتاة، فلو أردت الحرام لارتمت تحت اقدامك اجمل الفتيات والغادات، لكنك لم تلق بنفسك في طريقهن، حتى لو اعترضن هن سبيلك لعففت، وانصرفت قائلا: ان قلبى خصم لكل حرام، تبارك الذي أنشأك وصورك، واعفك وحصنك، وعن الرذيلة ابعدك، وبالتقوى زودك، طاب معدنك، وزكت خلائقك، جل الله خالقك، ماعظم ماجبلك عليه من عفة وتقوى وصلاح ورشاد وصبر على شهوات الشباب التى استطعت ان تكبحها - بتوفيق الله - فلم تجمع نفسك، ولم تجنح الى الهوى، وانت في عمر هو في اكثر الخلق زمن الانحراف والانزلاق، كأن الله قد اعدك لتكون داعية للفضيلة، بل لمكارم الاخلاق، مقتديا برسوله الكريم صلى الله عليه وسلم - أنشأك نزيها عفا تقيا - في شبابك - لتكون في شيخوختك، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، لا يستطيع احد ان يعيرك بماض مخز، وشبيبة دنستها الاهواء والشهوات، سبحان الذي يهدى من يشاء الى صراط مستقيم.

اعتقد اننـي استعرضت من شعـر الاستاذ احمد جمال ناشئا مـايكفي لاستقصاء ماكانت به خواطره المنبعثة من عواطفه ومشاعره وعرفنا انه نشأ نشأة دينيـة تتميز بكل مايتطلبه الـدين الاسلامي الحنيـف فلا غرو اذن ان يشيـب الشيـخ احمد على حـب الفضـائل ومكـارم الاخـلاق والتمسك بالاسلام والدعوة له فمن شب على شيء شاب عليه .

وختام القول عن شعره نقول : ان شعره كان صورة حقيقية لمشاعره وبيئته وطمـوحه ، ولم يقتصر شعـره على الناحيـة الاخلاقيـة فحسب ، فلقد تنـاول موضوعـات شتى في شعره ، كـاعلان كفره بـالحب الذي يـرمى صـاحبه الى الفجـور ، وكاشـادته بعمالقـة الادب والشعر قـديما وحديثا ، وذلك في قصيدة قالها اعجابا بالعقاد ، الكاتب العبقرى شعرا ونثرا وتـأليفاً ، كما أشاد في قصيدة اخـرى بعبقرية ابى العـلاء المعرى ، وذكـاءه وحدة حفظـه ، ونـاقش آراءه الالحاديـة ، وسفههـا بـالدليـل الملمـوس ، ولقد تنـاول «الـرثاء» فبكـى اباه بكـاء الابـن البار المحـب الشغوف بأبيه ، كما أبَّن فقيد مكة فضيلة الشيخ امين فودة - رحمه الله - وساجل كلا من الشعراء الكبـار أمثال : حمزة شحاته ، وحسين عرب ، وحسين سرحان ، مساجلـة الند للند ، وهم مـن الجيل الاول والثاني ، وهو من الجيل الثالث ، فلله دره شاعرا وكاتبا واديبا شعر فأجاد وكتب فاعجب وأدب .

آراؤه الصريحة

ولما بلغ اشده واستـوى اتاه الله ما أتاه من غيرة على دينـه، وقومه، وأبنـاء دينـه مـن المسلمين والمسلمات، وعنى بمشـاكـل الشبـاب بنين وبنات فـوجه وعلـم وارشد، وألف للصنفين كتبـا قيمة منهـا «كرائم النساء» «نساء وقضايا» «مكانك تحمدى» «من اجل الشباب» «الشباب دراسات ولقاءات» وكم كنت اود ان استعـرض شيئا من افكاره حول قضايـا الشباب المسلم لولا اننـى رأيت المقام - هنـا - لا يسمح لى بهذا التفصيل والتوسع، كما أسلفت من قبل.

وعالم كالشيخ احمد جمال يهتم بامور دينه، ومايمت اليه من منتسبين ومشكلات يعانيها هؤلاء المنتسبون للدين، اعنى بهم المسلمين عامة - في حياتهم ومعـاشهم واستيطـانهم وخضوعهـم لنوعيـة الحكام الـذين يديرون شؤونهم، يعدلون في حكمهـم أو يظلمون، يؤمنون بدينهم او يكفرون، عالم كهـذا يرى ان من الفرض عليه امعـان النظر في احوالهم والتفكير فيها ان كـانت سليمة هلـل وكبر وحمد الله، وان كانـت سيئة ثارت الكرامة الاسلامية في قلبه، وندد وخاصم ودافع واجتهد لوضع الحلول التـى يرى انها مفيدة لصالـح المسلمين وهو كعالم كاتـب مسلم مؤمن ناصـح، لا يملك الا القول والكتابة فيقول عنـدما يتاح له مجال القول، وإلا عمد الى الكتـابة في الصحف، وإلا انكب على التـأليف، يناقش في مـؤلفاته قضايـا المسلمين، وقضاياهم لا تخرج - كما نـوهت آنفا - عن سوء مقـاساتهم في حياتهم وتوطنهم، ومابنصـب عليهم من ظلم الظالمين.

هاهـو الشيخ المسلـم يعالـج قضايـا المسلمين الذيـن دهتهم داهيـة الحكم في بلـدانهم من قسـوة وظلم مـن تغير الحاكم المسلـم الى حاكـم شيوعى او غربى او الحادى أو استبدادى «دكتـاتوري» فهو يمعن النظر في ذلـك، ويدرس المشـاكل ويحللهـا، ويعطى رأيـه فيها ومـا يجب ان يتخذ بصددها من اجـراءات هذا الاهتمام بنظام الحياة في بلاد المسلمين ونظام الحكـم فيها او في بلاد اقليتهـا مسلمة هـذا الاهتمام بهذه الامور يعتبر اتجاها سياسيا.

وعند استاذنا احمد تنطلـق هذه السياسة من منطلق اسـلامي، باعثة الاهتمام بشؤون المسلمين (فمن لم يهتم بامور المسلمين فليس منَّا).

ان الاستـاذ الكبير احمد جمال في كتابـه «مـأساة السيـاسـة العربيـة» يعـرض قضايـا العرب السيـاسية مـع دولة اسرائيـل منذ عـام ١٩٤٨ وماتلاها من الاعوام، ويرى ان القضيـة الفلسطينية هي المأساة العربية الكبرى، هـذه المأسـاة الطـاحنة للعـرب جميعـا، وليـس للفلسطينيين وحدهـم، التى مـازالوا يحترقون في جحيمهـا، ويتمزقـون شر ممزق، خلال اثنين وثلاثين عـاما لن يكون لكربها انفـراج ولا لغمها انكشاف إلا بأمرين.

١ – الحياد الفلسطينى.

٢ – الوحدة العربية.

يقول عن الحياد الفلسطينى في كتابه هذا صفحة (١٥) مانصه:

(الحياد الفلسطينى كان ومايزال مطلـوبا منذ ابتداء المشكلة وزحف المأسـاة على الديـار العـربية فلـو ان الـزعـامات والقيـادات والمنظمات الفلسطينيـة التـزمت الحيـاد في عـلاقتهـا وصـداقتهـا مع الـزعـامـات

والحكومات العربيـة والاسلامية، وحتى الاجنبية لكانـت اليوم اقوى مكانـة، واكثر نصيرا، وأشد بـأسا على عـدوها الصهيونـي واقدر على نيل حقهـا منه، وعلى الظفـر بتأييـد كافـة الاطراف في النـزاع العربـي الاسرائيلي).

ويستمر العالم السياسى المفكر (في صفحـة ١٦) من الكتاب شارحا آثار الاتجاه الفلسطينـي لبعض الدول ضـد اخرى، ممـا افقدها التـأييد الشامل من الدول العربيـة والاسلامية بسبب تردد المنظمات الفلسطينية بين هذه الدول وتلك، ثم يختتم كلامه عن الحياد الفلسطيني بقوله:

«وهـو مهـم وضرورى – أيضـا – لانفكـاك القيـادات والمنظمات الفلسطينية مـن قيود استغـلال هذه الـدول أو تلك لاستخـدام اعضاء المنظمة او مكاتبها او اجهزتها الاعلامية أو مراكزها التدريبية للاتهام او الانتقام من دولة اخرى معارضة لها، او مختلفة معها».

آراء جريئة صريحة، لها وزنها في السيـاسة الفلسطينية بوجـه خاص وفي السياسـة العربيـة بوجه عـام. ولا مجال – هنا – للمضـى في تحليل آراء الكاتـب الكبير وللقارىء الذي يـرغب في الاستزادة ان يـرجع الى كتاب المؤلف (مأساة السياسة العربية).

ويقول كاتبنا السياسي عن الوحدة العربية (في صفحة ١٧) مانصه:

(أمـا الـوحـدة العـربيـة فـأمـر مهـم وضرورى آخـر لحل المشكـل الفلسطيني وكفـانا اثنان وثلاثـون عاما من الخلاف والفـرقة والصراع بين اعضاء اسرة واحدة، وعدو متربص بالجميع).

ومن المضحكات المبكيات: ان تقوم بضـع دول عربية بحركة اتحاد وتجمع تحت اسم «التصدى والصمود» على أنه موجه للعدو الاسرائيلي

فاذا بـه - في حقيقة امره - مـوجه لمجموعة اخـرى من الدول العـربية نفسهـا ، أي انهم عـرب يتصـدون ويصمــدون في وجـوه عـرب مـن اخوانهم وجيرانهم الذيـن يشتركون معهم في مأسـاة واحدة ، ومشكل واحد ، تعسر حله خلال اكثر من ربع قرن من الزمان .

ثم يذهب استاذنا الكبير الى بعد كبير مما تقـوم به زعامات عربية من اجتماعات عـامة كمؤتمرات القمة ، والى المعـاهدات الثنائيـة بين روسيا ودولـة او دول عـربيـة ، ويبـدى تخوفـه وقلقه الشـديـديـن مـن هـذه التكتلات بين الدول الكبرى وبين بعـض الدول العربية ممـا سيؤدى الى مشاكل اخرى للبلاد العربية .

ثم لا ينظر الى المشكلـة الفلسطينية (التى هي اساس المأسـاة العربية الطـاحنة والتـى مـزقت الشمـل ، وبـددت القـوى ، وأذلت الاعنـاق واشمتت العـدو ، ويسرت له المزيد مـن الانتصار والانتشار) هـذا من كلام المؤلف .

من من العـرب لا يؤيد قيام الـوحدة العربية - إلا مـن سفه - ومن مـن عقلاء الامـة العربيـة لا يدرك خطـورة الفرقـة والتناحـر اللذيـن يسودان الامـة العربيـة التى ابتليـت ببعض القيـادات الثوريـة ، والتى جرت بلادها الى الدمار ، وجرت معهـا بلدان عربية اخرى . الواقع أن الاستـاذ احمد غـاص في اعماق المشـاكـل السيـاسيـة العـربيـة ، وأدرك حقيقتهـا ، وآلمه التخبط الـذي أودى بـالامـة العربيـة الى الحضيـض ، ومازال . لقد عرض استاذنا نماذج واقعية تسيطر على السياسة العربية ، وأبدى رأيه ، ووضع الحلول -التى يراها من وجهة نظره - سواء اقتنع بها غيره او عارضها ، أنه العربى المسلم الغيور على مصالح أمته العربية

والاسلامية، نصح وحذر ودعا وأنذر، فله من الله الاجر، ومن مؤيديه كل ثناء وتقدير.

تناول غير هذا الموضوع في كتابه «مأساة السياسة العربية» فكتب عن مبدأ المفاوضات مع اسرائيل (منذ عام ١٩٨٢م - ١٤٠٢ هجرية) وهاهي آراؤه - الآن - تثبت صحتها وصوابها.

كما تطرق الى تطورات الاحداث في المنطقة، ومايستفاد من جهاد الافغان بالنسبة للساسة العرب، وتحدث عن معاهدة «كامب ديفيد» من وجهة نظره، وفرحة المسلمين بعودة سيناء عربية اسلامية، وحذر من سياسة الرفض، ودعا الى مقاطعة المنظمة الدولية ولو مرة واحدة.

تحدث عن امور سياسية كثيرة اخرى، ليس لسردها مجال هنا، وعلى من تاقت نفسه الى معرفة الاتجاهات السياسية لدى الاستاذ السياسى العالم احمد جمال، فليرجع الى كتبه السياسية، منها: «استعمار وكفاح» و«نحو سياسة عربية صريحة» و«من كشمير الى فلسطين» و«مأساة السياسة العربية» الذي استعرضنا بعض ماجاء فيه من آراء ووجهات نظر الاستاذ الكبير احمد جمال.

أما آراؤه في المرأة المسلمة فلقد كتب عنها كثيرا ووصفها وعرفها ورفعها وقدر شأنها، ودورها في حياة الرجل والاسرة والاولاد والمجتمع، تحدث عن تعليم المرأة، وعن عملها الوظيفى، وبين ماهي المجالات التى يجب ان تمارس المرأة فيها اعمالها وتؤدى دورها بكل نجاح، تحت ظل الشريعة الاسلامية التى انزلها رب الرجال والنساء ورب العالمين، وما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمرأة من معاملة واكرام وصون فهي في نظره أغلى جوهرة يجب أن يحافظ عليها

الرجل، ويصونها من كل مايضيرها ويضرها.

آراؤه في المرأة واضحة جلية في كتبه القيمة «تعليم البنات» «مكانك تحمدي» «نساء وقضايا» ولكى تعرف المرأة الصورة التى يجب ان تكون عليها كتب لها كتابه «كرام النساء: نماذج اسلامية رائعة» فليأخذ من اراد من تلك الكتب خير ماكتب عن المرأة المسلمة.

وللتاريخ والانصاف اقول: ان الاستاذ احمد وأخاه الشيخ صالحا - رحمهما الله - كانا من خيرة من يغار على المرأة، الام، والاخت، والزوجة، والابنة - جزاهما الله كل خير.

واختتم كتابتى عن الاستاذ الشيخ احمد جمال بقولى: ان ماكتبته في هذه الصفحات عن رفيق الصبا، وزميل الدراسة، وشريك الميول وصديق الشيخوخة، هو جزء متواضع مما يجب ان اكتب عنه، ولو تسنى لى ان اؤلف كتبا عن سيرته ونشأته واخلاقه وأدبه وشاعريته وعزيمته التى لا تعرف الكلل ولا الملل، وعن طهره وتقاه - لا ازكيه على الله - لو تسنى لى ذلك لفعلت، ولعل الله يوفقنى ان أفعل ذلك في مقبل الاعوام - إن شاء الله - فانه بذلك جدير، بل الاجدر ان يقرأ شباب الاجيال القادمة عن جهاد هذا الرجل الذي بنى نفسه من طالب قليل التحصيل الى عالم نفع الله بعلمه اقواما وبذ بنبوغه اعلاما.

شخصيته الإسلامية الفذة

لقد كـان اخى نسيج نفسه، فتـح الله عليه وأنار بصيرتـه، وأرشده السبيل القويم وأعانه في كل أمـوره، فاذا به ببزغ بزوغ الشمس المضيئة في رأد الضحـى وتنتشر مـــن ضيـائه كتـــب تنير السبيـل فيهتـــدى بها الضليـل، اقتبـس علمـه مـن اعظم الكتـب الالهيـة، وحفظـه غيبـا، واستنار بـه عقلا ونفسـا وقلبا، فـرفعه الى درجـة استاذ جـامعى يفسر القرآن تفسيرا ويفجر نوره في قلوب تلاميذه تفجيرا، كما استلهم هدى خير الرسل - عليه الصلاة والسـلام - فجمع بين النور من: كتاب الله وسنة رسوله.

مـن هذه الترجمة - شبـه المستفيضة - تتجلى شخصيـة استاذنـا احمد الذي يمكننـا ان نقول عنـه بعد ماقـرأنا أنه الشـاعر الاديـب، المفكر، الصحفى، الكـاتب الاسـلامي، المؤلـف، الاستاذ الجامعـي الشيخ، احمد محمد جمال.

إذن لا غرو ان ينبرى الاستاذ الكبير والعالم القـديرأحمد عبد الغفور عطار للكتابة عن استاذنا احمد جمال، مشيـدا باعماله واتجاهاته في خدمة الاسلام، يثنى على جهاده الفكرى والعلمي والتربوى ويرشحه لجائزة الملك فيصل - رحمه الله - (نشر مقاله عـن الاستاذ احمد جمال في جريدة «الندوة» بتاريخ ٨/ ١٠/ ١٤٠٧ هجرية)

ومن نفس المنطلـق، وبنفس النظرة، وبعين التقديـر للقيمة العلمية والفكريـة للاستاذ احمد قـامت وزارة الحج والاوقاف بترشيحـه لنفس

الجائزة الفيصلية في عام ١٤٠٨ هجرية وإني اتمنى ان يكون لى صوت يسمع فارشح الاستاذ الكبير، والكاتب الاسلامي الشهير احمد جمال لنفس الجائزة، شعورا منى بانه جدير بها .

هكذا عاش احمد جمال علما من الاعلام الجهابذة، خدم دينه وأمته الاسلامية بكل ما آتاه الله من قدرة واخلاص حتى اصبح شمسا تضيىء آفاق الامتين العربية والاسلامية فاستنارت بافكاره عقول وافئدة، ونفوس ارهقتها مبادىء الحضارة الغربية وتتلمذ على يديه عدد كبير من الناس واخذوا ينهلون من ينبوعه السلسال المتدفق بالعلوم الدينية والآراء الادبية والافكار السياسية والمقترحات الاجتماعية .

وفي ليلة الاحد الموافق ٩/ ١٢/ ١٤١٣ هجرية، ليلة الوقفة الكبرى توقف القلب الكبير المعطاء واسلم الروح الى خالقها الكبير المتعال الحى الباقى الذي لا يموت .

مات احمد جمال فانكفأت عليه القلوب العامرة بالايمان والمحبة والاخلاص تبكى على فقيد الامة الذي توفاه الله غريبا صائما شهيدا (باذن الله) .

واحتشدت الالوف المؤلفة بداره يشيعون جثمانه الطاهر الذي كان يحمل قلبا طاهرا عامرا بالايمان، وعقلا نيرا يضيىء بالحكمة والرجحان، وقلما جريئا صريحا يجول في كل ميدان، ونفسا ابية زكية لم تعرف الزيف والروغان .

نعم لقد مات احمد كما يموت كل حي ولكن هل انقطع فضله وغاض نهله؟

ان احمد جمال مايـزال حيا في كتبه الاربعين التى حفلـت بكل الاثمار اليانعة والافكار البـارعة، بقيت آثاره في كل ماكتـب . . فهو اذن ماثل بين النـاس لم يمت ينصـح ويصحح، يعلـم ويفقه وينتقـد، يكاشـف الناس باخطائهم ويردهم الى صوابهم انه حي في روافده المتدفقة بالعلم والحكمة والتوجيه والارشـاد، انه مايزال حيا بيننا نخـاطبه ويخاطبنا، نسأله فينصحنـا . ماعلينا إلا أن نقرأ مـاكتب . . فنراه ماثـلا في مقال، بعقله وفكره وقلبه ولبـه بجرأته وصراحته، بلباقته وفصـاحته، بخلقه وسماحته انه سيظل في قلوبنا حيا . . حتى نلقاه في جنة الخلد مع النبيين الصديقين والشهداء وحسن اولئك رفيقا .

اللواء على زين العابدين
مكة المكرمة

الشيخ أحمد محمد جمال
ورحلاته الإسلامية

بقلم الأستاذ الدكتور:
حسن باجودة
استاذ الدراسات القرآنية
البيانية في جامعة أم القرى
مكة المكرمة

الفصل الثالث :

- المقدمة .
- تمهيد .
- ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ .
- رحلات إسلامية .
- عنايته بالشباب .
- عنايته بالمرأة .
- غيْرته على اللغة العربية .
- الخاتمة .
- فهرست المصادر والمراجع .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذه الدراسة وعنوانها: «الشيخ أحمد محمد جمال، ورحلاته الإسلامية»، قد عملت استجابة لدعوة كريمة من القائمين على شؤون كتاب: سلسلة دعوة الحق، الذين قرروا- مشكورين- إصدار عدد من السلسلة خاص بالأستاذ أحمد محمد جمال، تغمده الله تعالى بواسع رحمته، الذي كان حينما توفاه الله المشرف على هذه السلسلة، تقديراً لهذا الكاتب الإسلامي الغيور القدير، ووفاء من رابطة العالم الإسلامي لهذا العالم الجليل الذي تعددت إسهاماته العلمية، وكثرت رحلاته الإسلامية باسم رابطة العالم الإسلامي في المقام الأول.

وهذه الدراسة إذا كانت قد عملت استجابة للدعوة الكريمة الموجهة بتاريخ ٢/ ٦/ ١٤١٤هـ فإنها في الحقيقة تجسيد لما يكنه كاتب هذه السطور للشيخ أحمد محمد جمال من حب وتقدير كبيرين. فما أوثق العلاقة بيني وبين الشيخ أحمد خلال ربع قرن من الزمان منذ عودتي من بعثتي للدكتوراة في مطلع عام ١٣٨٨هـ.

لقد كانت اللقاءات الفكرية والعلاقات الشخصية متعددة ووثيقة. فما أكثر اللقاءات؛ فكرية وأخوية في قاعات المحاضرات والندوات، وأروقة الجامعات، وفي مواسم رابطة العالم الإسلامي

الثقافية، والدورات التدريبية، والمؤتمرات الطلابية والشبابية، وعبر المؤلفات والصحف والمجلات وما إلى ذلك. ومن هذه اللقاءات ما استمر لأيام والليالي ذوات العدد؛ وذلك على غرار اشتراكنا في دورة الأئمة والدعاة والخطباء التي عقدتها رابطة العالم الإسلامي في الصومال، في الفترة الممتدة من ١٥/ ٨ إلى ١٥/ ٩/ ١٤٠٠هـ وفي مهرجان الشباب العربي الرابع في الرباط بالمملكة المغربية في الفترة الممتدة من ١١/ ٨ إلى ١٨/ ٨/ ١٣٩٩هـ.

ولما كانت القضايا الفكرية التي تحدث فيها الشيخ أحمد محمد جمال متعددة فقد اخترت بعض النماذج التي كثرت معالجته لها في أثناء رحلاته الإسلامية المتعددة التي وصلت حتى استراليا شرقاً وأمريكا غرباً. وهذه القضايا ذوات علاقة وثيقة بالشباب والمرأة واللغة العربية، إضافة إلى رحلته الأخيرة إلى القاهرة التي تغمده الله تعالى برحمته في أثنائها، وإلى بعض الأمور ذوات العلاقة برحلاته الإسلامية. وبناء على ماسبق سارت الدراسة في الصفحات التالية على هذا النسق:

١- تمهيد.

٢- «إنا لله وإنا إليه راجعون».

٣- رحلات إسلامية.

٤- عنايته بالشباب.

٥- عنايته بالمرأة.

٦- غيرته على اللغة العربية.

وذيلت الدراسة بالخاتمة وفهارس المصادر والمراجع والموضوعات.

والله تعالى أسأل أن يكـون هذا العمل خالصـاً لوجهه الكريـم جل وعلا، وأن يتقبلـه إنه جل وعلا أكـرم مسؤول وأعظم مأمـول، وأن يعفو عما بدر منا من تقصير إنه غفور رحيم .

﴿ربنا لا تـؤاخذنـا إن نسينا أو أخطأنـا * ربنا ولا تحمـل علينا إصراً كما حملته على الذين مـن قبلنا * ربنا ولا تحملنا ما لا طاقـة لنا به * واعف عنا واغفر لنا وارحمنا * أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ .

﴿سبحـان ربـك رب العزة عما يصفـون * وسـلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين﴾ .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى عفو ربه

د. حسن محمد باجودة



تمهيد

ثمة مجموعة من الأمور المتعلقة برحلات الأستاذ أحمد محمد جمال الإسلامية نود أن نضعها بين يدي الحديث في قضايا الرحلات .

أولاً أكثر رحلات الأستاذ أحمد محمد جمال كان مبعوثاً لرابطة العالم الإسلامي[1] وكان أول بعث سنة ١٣٩١هـ على عهد أول أمين للرابطة ، وهو معالي الشيخ محمد سرور الصبان ، رحمه الله . ثم تتابعت البعوث على عهود كل الأمناء[2] وكان الأستاذ أحمد جمال في أول بعث له ممثلاً للرابطة في مؤتمر عقده مجمع البحوث الإسلامية في مصر في القاهرة خلال محرم وصفر سنة ١٣٩١هـ[3] ومن ذكرياته رحمه الله تعالى عن هذا البعث الأول للرابطة : «إن اختيار الوفود وقع على شخصي الضعيف ، وكنت أصغرهم سناً حينذاك ، لإلقاء كلمتهم الختامية ، فقلت بعد حمد الله والصلاة والسلام على نبيه : شكراً لجمهورية مصر العربية ، ومجمع البحوث الإسلامية ، ووزارة الأوقاف وشؤون الأزهر ، على كرم الضيافة والترحيب ، بعقد هذا المؤتمر الإسلامي الذي جمع إخوانا من اليابان شرقاً إلى المغرب غرباً ، ومن طاشقند شمالاً إلى اليمن جنوباً ، ليتدارسوا بينهم القضايا التي تشغل بال العالم الإسلامي ، وتهم أبناءه جميعاً في إطار المنهج الإسلامي ، وتهم أبناءه جميعاً في إطار المنهج الإسلامي الرشيد . ثم

---

(١) خطوات على طريق الدعوة ١/ ٧ .

(٢) خطوات على طريق الدعوة ١٧ .

(٣) خطوات على طريق الدعوة ١٨ .

دعوت إلى توحيد الجهود بين المنظمات الإسلامية لتحقيق التضامن الإسلامي، الذي هو واجب كل مسلم داع لحق الإسلام. وسألت الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا الاجتماع بين علماء المسلمين اجتماعاً مرحوماً، وأن يكون تفرقهم بعده تفرقاً معصوماً من الاختلاف والافتراق»[1].

ثانياً: الأستاذ أحمد جمال يرتجل محاضراته وكلماته في الندوات واللقاءات الفكرية ثم يكتب بعد ذلك ماوعته الذاكرة، وهو قليل من كثير. ومما قال في هذا المعنى: «هذا ما استطعت أن أذكره من المحاضرة التي ألقيتها بنادي المدينة الأدبي، لأن مشكلتي أني لا أكتب أحاديثي ومحاضراتي قبل أن ألقيها. وقد تعودت على الارتجال ثم تسجيل ما وعته الذاكرة، وهو قليل جداً»[2] وإن عدم كتابة الأستاذ أحمد جمال أحاديثه ومحاضراته جعله في المقابل حريصاً على تدوين كل ماوعته الذاكرة بعد ذلك، هذا إلى تدوين بعض الدقائق، وربما كتابة المعنى في صورة أوسع وأمتع. ومن الدقائق التي يمتاز بها الأستاذ أحمد حرصه على ذكر أسماء الذين رافقوه في السفر أو في اللقاءات الفكرية. ولما كنت- على سبيل المثال- قد رافقت الأستاذ أحمد جمال في بعض الدورات الخارجية والمؤتمرات الشبابية والطلابية، وفي بعض المواسم الثقافية للرابطة وغيرها فقد جاء ذكر اسمي في العديد من كتابات الأستاذ أحمد جمال وذلك على غرار الصفحة الثمانين من خطوات على طريق الدعوة، بشأن مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين في استراليا سنة ١٣٩٨هـ، والصفحة السابعة والخمسين من الجزء الأول من خطوات على طريق الدعوة في معرض

---

(١) خطوات على طريق الدعوة ٢٣.

(٢) أوصيكم بالشباب خيراً ٤٠.

الحث على اشتراك رجال الفكر في المؤتمرات الطلابيـة . ومما قال : «لاحظنا أن نشاط المؤتمر كان محدوداً وكان عدد الطلاب الذين حضروه قليلاً ، كما أنـه لم يدع إليـه أحد مـن رجال الفكـر المسلمين وغير المسلمين ، ما عـدا ممثل جامعة الملـك عبدالعزيز في مكة المكرمة الدكتـور حسن باجودة»[1]

ولما كنت قد درّست في قسـم الدراسات السامية بجامعـة سدني لمدة عام دراسي كامل مبعوثاً من الملك خالد بن عبدالعزيز تغمده الله تعالى برحمته وأستاذاً زائراً للعام الدراسي ١٣٩٥/ ١٣٩٦هـ . ولما كـانت علاقتي جد وثيقة باتحاد المجـالس الإسلامية في أستراليـا وبالمؤتمرات الطلابية فـالذي أود أن أقره أن كلا مـن الاتحاد والمؤتمر الطلابي الإسلامي يـدعو الكثير من رجال الفكـر من داخل أستراليـا وخارجها ولكـن الاستجابة قليلـة بكل أسـف . ومن الحقـائق التي أود أن أعلنهـا هـي أن القائمين على شـؤون الاتحاد والمؤتمرات والنـدوات قد افصحـوا لي بـأنهم قـد انتهوا ، بنـاء على تجاربهم الموصولة ، إلى وجـوب تعيين الأسماء التي يدعونها إلى المشـاركة ، لأن بعض الـذين يحضرون تلك اللقـاءات الفكريـة ينحصر اهتمامهم في الحرص على اثبـات وجـودهـم أول المؤتمر ، ثـم الاختفـاء في مختلـف المسارب ، ثم الحرص على إثبات وجودهـم في آخر المؤتمر ، دون أن يقدموا الفائدة المرجوة منهم ، ودون أن يقوموا بـالواجب المنوط بهم . إن القائمين على شـؤون الطـلاب والشبـاب يحرصون على استدعاء شخصيات معينة مع أهـم خصائصها المشـاركة العلمية الإيجابيـة ، وربما المرابطة في المؤتمر مـع الطلاب والشبـاب ، يـأكلـون مما يـأكلـون ، ويشربـون مما يشربـون ويمارسون ما يمارســون . يؤمونهم في الصلوات ، ويخطبـون فيهم الجمعة ، ويلقون عليهم الدروس بعد الصلوات وفي كل المناسبات .

---

(١) خطوات على طريق الدعوة ١ / ٥٦ .

ومن مظاهر حرص الأستاذ أحمد جمال على ذكر الدقائق القول في الصفحة الحادية والعشرين من: أوصيكم بالشباب خيراً: «ولما كان سعادة الدكتور حسن باجودة مشرفاً على الموسم الثقافي للرابطة، يقدم المحاضرين للمستمعين ويترجم لهم، ويتلقى أسئلة الحضور الموجهة للمتحدث، فقد تلقى العديد من هذه المسائل، وكان يقرأ على الواحدة بعد الأخرى» وكانت محاضرة الأستاذ أحمد جمال في الموسم الثقافي للرابطة سنة ١٤٠٣هـ بعنوان: الشباب، حقوقه وواجباته[١].

وبشأن دقة الأستاذ أحمد جمال في الإشارة إلى إشرافي على الموسم الثقافي للرابطة في ذلك العام فإني أود أن أقرر بأن ذلك الإشراف على الموسم كان تحقيقاً لرغبة أبداها لي قبل موته معالي الشيخ محمد على الحركان الأمين العام الأسبق للرابطة، تغمده الله بواسع رحمته.

ثالثاً: من صفات الأستاذ أحمد جمال المميزة له شخصيته القوية، وجهره برأيه وصراحته، ومن الأدلة على ذلك أنه لا يرتدي في حله وترحاله إلا زيه العربي الكامل[٢] هذا إلى نعيه في العديد من المناسبات على الذين يحاكون ويقلدون، غير مضطرين لذلك، الأجانب في زيهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وأكلهم وما إلى ذلك. إنه- على سبيل المثال- يعلن في الوفود الذين يأكلون بأيديهم اليسرى ويقطعون اللحم بالسكين بأيديهم اليمنى قائلاً: «ياأصحاب الفضيلة يمكنكم أن تجمعوا بين السنة الإسلامية في تناول الطعام باليمين، مع استعمال

---

(١) أوصيكم بالشباب خيراً ٨، وقد أشار رحمه الله في الجزء الأول من خطوات على طريق الدعوة ١٠٠، إلى اشتراكنا في ندوة الصومال عن اللغة العربية.

(٢) انظر - مثلاً- خطوات على طريق الدعوة ١٣.

الشوكة والسكين، حيث تقطعون بالشمال، وتتناولون الطعام باليمين. خلافاً للطريقة الإفرنجية. وها أنا أمامكم أفعل ذلك. أقطع بالشمال وآكل باليمين[1].

وبشأن تقصير المسلمين في زيارة أماكن مآسي المجاعة في أفريقيا مثلاً نقل الأستاذ أحمد قول زائر لتلك المخيمات أو الأماكن بأن «الدول والمؤسسات المسيحية تقدم مساعداتها إلى هؤلاء المساكين بصورة ظاهرة ومكررة، حتى إنه لما زار أحد المخيمات استقبله الأطفال بقولهم: خواجة خواجة، ظناً منهم لغلبة مايرون من المسيحيين أنه منهم! فقد تعودوا ألا يروا إلاّ هؤلاء الخواجات»[2].

ومن لطيف المصادفات أني في أثناء كتابة هذا الجزء من الدراسة التقيت بالشيخ الفاضل السيد سابق الذي كان أحد الأساتذة الذين شاركوا في الدورة التي عقدتها رابطة العالم الإسلامي لتدريب الأئمة والدعاة في الصومال من ١٥/ ٨/ ١٤٠٠ إلى ١٥/ ٩/ ١٤٠٠هـ[3] وأخبرت الشيخ السيد سابق بأني بصدد كتابة دراسة عن رحلات الأستاذ أحمد جمال الإسلامية ومما أرغب في توضيحه عمل الأستاذ أحمد جمال بالرأي الراجح وإن أخذت الجماعة بالرأي لأسباب وجيهة وذكّرته بأخذ فريق منا بالرأي الذي يتم معه المسافر، وقد أخذ أكثرنا بهذا الرأي وكان الشيخ سيد سابق إمامنا، وأخذ الفريق بالرخصة وقصر الصلاة بسبب السفر، وكان الأستاذ أحمد جمال إمام هذا الفريق. لقد قال لي الشيخ السيد

(١) خطوات على طريق الدعوة ٢٢، وانظر أوصيكم بالشباب خيراً ص ١٦١.
(٢) خطوات على طريق الدعوة ١٥٨.
(٣) خطوات على طريق الدعوة ١/ ٩٣.

سابق[1] إنه يـذكر ذلك الموقف جيـداً وقال إن للعلماء في مثل هـذه المواقف الكثير مـن آراء، ونحــن في ذلـك السفــر بسبـب الحل والترحــل واجتماع المسافـرين والمقيمين قصرنـا أحياناً وأتممنـا أحيانـاً أخرى. أمـا الأستاذ أحمد جمال فقد أخـذ برأي واحـد وهو القصر. واللطيف في الأمـر أنا بعـد أن أنهينا صلاتنـا أقام الـذين أخذوا بـالقصر صلاتهم، لقد كـان ذلك درسـاً تطبيقياً لحاضري الدورة في سماحة الإسلام وكونه دين اليسر لا العسر.

والحقيقـة أن صراحــة الأستـاذ أحمد جمال تتسـم بـالجراءة. وأنـا شخصياً احتفظ بأكثر من رسـالة صريحة له رحمه الله. ولما كانت صراحته المتعلقـة برحـلاته الإسـلامية قـد تضمنتهـا بعض مـؤلفاتـه فإني أكتفـي بالإحـالة إلى بعض الصفحات التـي فيها صراحة في تلـك المؤلفات. في الإمكان الوقـوف من كتاب «خطوات على طريق الـدعوة» على نماذج من هـذه الصراحة في صفحـة ٤٢ و١٥٢ وفي الجزء الثـاني من خطـوات على طـريـق الـدعـوة في الصفحـات ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧. ومـن كتـاب: أوصيكــم بــالشبــاب خيراً صفحـــة ١٧٧ و٢٤٠ إلى غير ذلــك مــن الصفحات.

---

(١) كان ذلك صبيحة يوم الثلاثاء ٢٩/ ٧/ ١٤١٤هـ وبعد كتابة المقدمة قرأت على فضيلة الشيخ السيـد سابـق هـذه السطـور بواسطـة الهاتـف فـأجازهـا وكـان ذلـك صبيحة يـوم الأربعـاء ١/ ٨/ ١٤١٤هـ.

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

من جليل الموافقات أن يطلب مني القائمون على شؤون سلسلة كتاب دعوة الحق في رابطة العالم الإسلامي أن أسهم بالكتابة عن الأستاذ أحمد محمد جمال ورحلاته الإسلامية حيث إني كنت رفيقه تغمده الله تعالى بواسع رحمته في آخر رحلة جوية له في حياته من جدة إلى القاهرة. شاء الله تعالى أن أحجز أنا وزوجتي في رحلة السعودية الصباحية في يوم الأحد الموافق للثاني من شهر ذي الحجة عام ١٤١٣هـ من أجل متابعة طبع كتابي: تأملات في سورة البقرة، كما أنّا أكدنا الحجز للعودة في رحلة السعودية المسائية في يوم الخميس الموافق للسادس من شهر ذي الحجة بنية أداء الحج. وفي مطار الملك عبدالعزيز الدولي بجدة حينما دخلت العربة التي تحملنا من مبنى المطار إلى الطائرة فوجئت بالأستاذ أحمد محمد جمال قاعداً في أحد المقاعد يتبادل الحديث مع الأخ الكريم الأستاذ زهير محمد جميل كتبي. لقد كان اللقاء مفاجئاً ومبهجاً لي، كما كان مفاجئاً ومبهجاً للأستاذ أحمد، فقد بعد العهد بلقائنا السابق الأخير لذا كان العناق حاراً. ولم يدر بخلدي- وأحسبه لم يدر بخلده يرحمه الله- أن ذلك العناق هو الأخير في هذه الحياة الأولى. وواصلت سيري في العربة حتى وجدت مكاناً شاغراً، وانصرف كل إلى شؤونه. ولم تقع عيني بعد ذلك على الأستاذ أحمد، المعروف، بحرصه على ارتداء الزي العربي الكامل، وبخاصة في أثناء السفر، إلا في مطار القاهرة. لقد كان رحمه الله تعالى واقفاً في أحد صفوف القادمين لإنهاء إجراءات الوصول ويمسك بيد شخص كبير السن عرفت أخيراً أنه شقيقه والذي سكن معه في القاهرة

في الشقة التي تغمده الله تعالى برحمته فيها .

لم ألتق بعد ذلك بالأستاذ أحمد جمال . وعدت إلى جدة مساء يوم الخميس السادس من شهر ذي الحجة . وأكرمنا الله تعالى بأداء الحج . ولما كانت بعض المجلات والصحف تأتيني تباعاً فقد كانت لقاءاتي بالأستاذ أحمد جمال في تلك الأثناء عن طريق مؤلفاته التي تضم مكتبتي أكثرها ، وعن طريق المجلات والصحف ، وبخاصة العالم الإسلامي ، الجريدة الأسبوعية التي تصدر عن إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي ، فإن هذه الجريدة تصلني بانتظام ولله الحمد والمنة . وإن من آخر ما قرأت للأستاذ أحمد جمال في هذه الصحيفة أجوبته عن مجموعة من الأسئلة في أحد الأعداد الأخيرة منها ، ومن بين الأسئلة التي طرحت عليه رحمه الله تعالى سؤال عن قراءة القرآن على الميت وهل يصل الميت تلك القراءة بإذن الله تعالى ، ، وكان جواب الأستاذ أحمد بأن ثواب قراءة القرآن الكريم يصل الميت بإذن الله تعالى .

بعد وقوفي بعرفات والمشعر الحرام بالمزدلفة ورمي جمرة العقبة والعودة إلى منزلي بمكة يوم النحر وكان ذلك يوم الإثنين من الأسبوع وهو اليوم الذي أختم فيه ، بفضل الله تعالى مصحفي الأسبوعي ، كنت بعد صلاة العصر أتلو الحزب الأخير من المصحف الشريف . لقد جرت عادة زوجتي حفظها الله تعالى حينما تقف على نبأ جلل يهمني أن تدنو مني في رفق وأن تمهد لذلك النبأ ، وأن تحوم حول الموضوع ، وأن تتدرج في الوصول إلى ذكر الحقيقة أخيراً . ولما كان قد وصلها في تلك الأثناء عبر الهاتف نبأ وفاة الأستاذ أحمد جمال وتأكدت بطريقتها من صحة ذلك النبأ دنت مني وبدأت تتكلم وتجذب انتباهي إليها تدريجياً . ولما كنت قد

تعـودت منهـا هـذا الإحسـاس المرهـف والإحسـان في التصرف وهـذه المشاطرة الـوجدانية بشأن الأمـور التي تهمني ، ولما كانـت على علم بكبير حبي لـلأستاذ أحمد وعظيـم تقديـري له ووثيـق الصلة بيننـا فقد بـذلت مجهوداً نفسياً وذهنيـاً كبيرين من أجل إيصـال هذا النبأ الجلل خـاصة في الوقـت الذي كنـت أقرأ القـرآن الكريـم ، ثم إنها- حفظهـا الله- كانـت شاهدةً لقاءنا الحار الأخير في مطار جدة قبل أيام قلائل .

لم أملك حينها بلغني النبأ الجلل إلا أن أبادر إلى القول : **﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾** امتثالاً لقول الحق جـل وعلا[1] : **﴿ولنبلونكـم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأمـوال والأنفس والثمرات وبشر الصابـرين * الذين إذا أصابتهـم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليـه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾** .

لقد دعـونا الله تعـالى أن يتغمد الفقيـد برحمتـه ، وأن يسكنه فسيـح جناتـه ، وأن يعوض الإسلام خيراً في فقـد هذا العالم الجليـل ، الغيور على دينه ، المدافع عـن إسلامه وعروبته ، الجريء في قـول كلمة الحق ، المبادر إلى نصرة كل مظلوم مهما يكن الثمن والتضحيات ، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم .

وأخذاً بجواب الأستـاذ أحمد جمال على السائل ورأيه- الذي هـو رأيي- بأن سـؤال العبد ربـه جلّ وعـلا أن يهب ثواب ما تـلا من قـرآن كريـم لروح الميت جائز إن شـاء الله تعالى ، فإني بعد أن ختمت المصحـف وتلوت الفاتحة وخمس آيات من سـورة البقرة دعوت الله تعالى أن يهب ثـواب المصحف الذي قرأت لروح الأستاذ أحمد محمد جمال رحمه الله رحمة واسعة . آمين .

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٥٥-١٥٧ .

رحلات إسلامية

كان الأستاذ أحمد جمال في أكثر رحلاته الإسلامية مبعوثاً من رابطة العالم الإسلامي لتمثيلها في المؤتمرات العلمية، واللقاءات الفكرية، والندوات الطلابية، والدورات التعليمية، وما إلى ذلك. وبشأن هذه الرحلات الإسلامية أخرج الأستاذ أحمد جزءين اثنين تحت عنوان: خطوات على طريق الدعوة، وقد حمل الجزء الأول رقم (٨٢) في سلسلة دعوة الحق التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي والتي كان يشرف على إصدارها.

ولما كان الجزء الأول كبير الحجم إذ إنه يقع في أكثر من ثلاثمائة صفحة، وكان الجزء الثاني كبير الحجم كذلك فقد ظهر هذا العمل الآخر في جزئين اثنين، أحدهما يحمل العدد رقم (١٢٩) من سلسلة دعوة الحق، وآخرهما يحمل الرقم (١٣٠) ويلاحظ أن الحديث عن الرحلة إلى كينيا في الجزء الثاني من الجزء الثاني من خطوات على طريق الدعوة ٨٧-١٠٢ يكاد يكون ذات الحديث الذي يحمل العنوان ذاته في القسم الأول من خطوات على طريق الدعوة ٩٤-١١٠ وتكاد تقتصر الزيادة على ماجاء في الصفحات ٩٦-٩٩ تحت عناوين فرعية: السيرة النبوية، نشاط الجالية الهندية والباكستانية، النشاط الصليبي.

ولم تقتصر: خطوات على طريق الدعوة على الإسهامات الخارجية، إنما اشتملت كذلك على: «بعض المحاضرات أو الندوات التي ساهمت

فيها بأحاديث في موضوعات تربوية واجتماعية وفكرية وأخلاقية داخل المملكة في الجامعات أو المؤسسات العلمية والأمنية والدينية»[١] .

وقد اشتمل الجزء الأول من خطوات على طريق الدعوة على رحلاته إلى تونس ، وإلى مصر ، وكان هذا أول بعث تبعث رابطة العالم الإسلامي إليه الأستاذ أحمد وذلك سنة ١٣٩١هـ على عهد أول أمين لرابطة العالم الإسلامي وهو الشيخ محمد سرور الصبان تغمده الله تعالى بواسع رحمته ، ممثلاً للرابطة في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة[٢] وإلى إسبانيا ، والصومال ، وموريتانيا ، وأستراليا ، وكينيا ، والجزائر ، وبريطانيا ، وغانا ، وعمّان .

هذا إلى تخصيص الفصل الثاني من الكتاب عن الخطوات في داخل المملكة .

كما اشتمل الجزء الثاني بقسميه من كتاب : خطوات على طريق الدعوة على رحلاته إلى باكستان ، والسودان ، ولبنان ، وأستراليا ، وماليزيا ، وأمريكا ، والصومال ، ويوغسلافيا ، وبريطانيا ، وتركيا ، ونيجيريا ، وكينيا ، واليونان ، وأندونيسيا[٣] .

وفي هذا القسم الثاني من الخطوات لم يخصص الأستاذ أحمد فصلاً خاصاً بالخطوات في داخل المملكة كما فعل في القسم الأول إنما جعل الحديث عن الخطوات خارج المملكة محور حديثه ثم ألحق به الأشباه والنظائر من الخطوات داخل المملكة . فعلى سبيل المثال تحدث تحت

(١) خطوات على طريق الدعوة ص٥ .
(٢) خطوات على طريق الدعوة .
(٣) خطوات على طريق الدعوة ١ / ٧ و ٢ / ٧ .

عنوان: في باكستان كان التدريب على الدعوة الإسلامية[1] عن تجربته الأولى في حقل الدعوة ومما جاء فيها[2]: «والحقيقة أن لي ذكريات جمة عن الدعوة. في مقدمتها البداية التي أخذت بالتدرب فيها على الخطابة المباشرة، أي بدون القراءة من ورقة مكتوبة. فالخطابة المباشرة ضرورية لنجاح الداعية، لأنها تجتذب أنظار المستمعين وأسماعهم وأفكارهم، فهم يتجهون بكل أرواحهم وأجسادهم إلى الخطيب الذي ينظر إليهم ويحدثهم مباشرة كما يحدث المحاور محاوره» كما جاء فيها[3]:

«وهكذا تكون الندوة العالمية للإسلاميات، في باكستان، هي البداية لتدربي على الدعوة الإسلامية. وقد فتح الله الفتاح العليم على فساهمت في كثير من المؤتمرات والندوات داخل بلادي وخارجها...» وبعد ذلك يتحدث الأستاذ أحمد عن تجربة داخلية مماثلة فيشير إلى مشاركته في مؤتمر الدعوة والدعاة الذي عقدته سنة ١٣٩٧هـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وكان عنوان محاضرته: الميدان الأول للدعاة الإسلاميين. ومع اشتمال المحاضرة على عدد من القضايا فإنها تدور حول محور واحد هو أنه ينبغي للمهتمين بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقصروا دعوتهم على مجتمعاتهم بدلاً من بعث أفراد أو جماعات إلى بلاد أوروبية وأمريكية وأفريقية وآسيوية من أجل الدعوة إلى الإسلام لأن حق هذا النوع من الدعوة التأخير ولأن الأولى بالتقديم أن تتجه الدعوة إلى الداخل أولاً ثم تتحول إلى الخارج[4].

وأنا شخصياً لا أرى رأي الأستاذ أحمد. والمعروف أن بعض الذين

---

(١) انظر مثلا خطوات على طريق الدعوة ١/ ٣١و٣٢ وأوصيكم بالشباب خيراً ٢٠٤ و٢٠٥. كان كاتب هذه السطور مشاركاً ببحث في هذا المؤتمر، وطبع ضمن أعمال المؤتمر.

(٢) خطوات على طريق الدعوة ١/ ٢٧.

(٣) خطوات على طريق الدعوة ١/ ٢٧.

(٤) خطوات على طريق الدعوة ١/ ٢٩.

هداهم الله تعالى إلى الإسلام قد قدموا إسهامات مشكورة ومأجورة إن شاء الله تعالى في سبيل تصحيح مسار الأمة الإسلامية في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية على السواء. فعلى سبيل المثال مؤسس جماعة تحفيظ القرآن الكريم في الباكستان أولاً وفي مكة المكرمة آخرا ينحدر من أسرة اعتنقت الإسلام أخيراً. وإن الأسماء اللامعة في سماء خدمة الإسلام من بين الذين اعتنقوا الإسلام أخيرا أكثر من أن يأتي عليها الحصر ومنهم على سبيل المثال الأمريكي المهتدي مالكم إكس رحمه الله تعالى رحمة واسعة. وهو من أصل زنجي، وقد حضرت بعض المحاضرات التي ألقاها في لندن سنة ١٩٦٥م قبيل استشهاده ومما أعلنه حرصه على نشر الإسلام ليس في أمريكا وحدها بل وفي الصين. ومنهم يوسف إسلام الذي كان مشهوراً في عالم الغناء في بريطانيا باسم كاتز استفن وما أجلّ خدماته الإسلامية.

والحقيقة أني بشأن الاهتمام بالدعوة في الداخل والخارج على السواء استذكر دائماً قول الحق جل وعلا في سورة النساء[1] ﴿**آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً**﴾ إن على المسلم بشأن المال أن يتركه كما قسمه الله تعالى في هيئة الميراث وألا يحابي أحداً رجاء نفعه مستقبلاً ولو كان أبا أو ابناً لأن في المحاباة اعتداء على أحكام الله تعالى وظلماً لعباد الله تعالى. وإنا بشأن الدعوة إلى الله تعالى نأمل في الخير أن يأتي بإذن الله تعالى من القريب والبعيد على حد سواء، ومن ثم فالدعوة مطلوبة في الداخل والخارج معاً.

وتكاد تكون هذه نقطة اختلاف وجهتي النظر الوحيدة بيني وبين

---

(٢) الآية ١١.

الأستاذ أحمد محمد جمال تغمده الله تعالى بواسع رحمته ورضوانه .

وبعد حديث الأستاذ أحمد عن محاضرته يتحول إلى الحديث عن متعلقات المحاضرة التي ألقاها من تعليقات واقتراحات وما إلى ذلك[1] وهكذا يسير القسم الثاني بجزئيه .

والحقيقة أنّا حينما نقارن بين رأي الأستاذ أحمد بأن تخلص الدعوة للداخل ابتداء وبين رحلاته الإسلامية التي كانت دعوة في الخارج كأنا نتبين عودة عملية عن ذلك الاقتراح النظري الذي لم يعمل به الأستاذ أحمد نفسه ، ويصح أن يكون هذا الرأي مرحلياً ، بمعنى أن الأستاذ أحمد كان يراه وقتاً من الأوقات ثم عدل عنه . ويصح أن يفهم من رأي الأستاذ أحمد أن العناية بالعالمين العربي والإسلامي من ناحية الدعوة بقصد عودة المجتمع العربي الإسلامي إلى الصراط المستقيم الذي خرج في مجموعه عنه ، ينبغي أن تكون هي الأكبر[2] .

---

(١) انظر مثلاً خطوات على طريق الدعوة ١/ ٣٣-٣٥ .

(٢) انظر هنا : أوصيكم بالشباب خيراً ٢٠٤ و٢٠٥ .

عنايته بالشباب

مـا أشد عنـاية الأستـاذ أحمد جمال بـالشباب واهتمامـه بهم والحوار معهم مشافهة في أثنـاء التدريس واللقاءات الفكرية أو عـن طريق القلم بالكتابة في المجلات والصحف ومـا إليهما. ومن أقوى الأدلة على اهتمامه بالشبـاب كثرة الحديـث عنهم وعـن مشكلاتهم والإجـابة عـن أسئلتهم والتوجيه لهم والأخذ بأيديهم ولفـت الانتباه إليهم. ولا أدل على كل ذلك مـن تخصيصـه ثـلاثـة كتـب عن الشبـاب هـي: مـن أجـل الشبـاب، والشباب: دراسات ولقاءات، وأوصيكم بالشباب خيراً[1].

وعناية الأستاذ أحمد جمال بالشباب تشمل شبـاب الأمة العربية والإسلامية عمـوماً وشبـاب المملكة العـربية السعـوديـة خصوصـاً. وإن كثيراً من اهتمامـه بالشبـاب تجلى في اشتراكه في ندوات ومحاضرات عـن الشباب، وفي الإجابـة عن الأسئلة التي يطرحها الشباب والأسئلة التي تتعلق بالشباب.

وإن من أمتـع وأنفع الندوات الشبابيـة في حياته رحمه الله هـي تلك التـي عقـدهـا مـؤتمر الاتحاد العـالمي للطـلاب المسلمين في إسبـانيـا في ١٥/٨/١٣٩٤هـ والتـي مثل فيها رابطـة العالم الإسـلامي[2]، وكانت محاضرة الأستاذ أحمد في مـوضوع: الشباب والـدعوة الإسـلامية[3]، وقد قال الأستاذ أحمد بشـأن تلك الندوة: «وكان المهم، بل الأهـم، مادار من نقـاش بين المحاضريـن، وما وجهـه الطـلاب والشباب مـن أسئلة ومـا عرضوه من مشكلات، وما أجاب به الحاضرون.

(١) أوصيكم بالشباب خيراً ٢٥.
(٢) خطوات على طريق الدعوة ١٢٣.
(٣) خطوات على طريق الدعوة ١٢٣.

وكانـت- بحق- ندوة شبابيـة طلابية نـافعة ناجحة، حيـث التف الشباب بالمحاضرين، ونفضوا بين أيديهم ما في صدورهم من مشكلات وشبهات.

وهي - في نظـري- أمتع وأنفع نـدوة شبابيـة طلابية شهـدتها حتى اليوم. وحبذا لو كـانت ندواتنا ومراكزنا الشبابيـة تنشط على هذه الصورة الحيويـة من لقـاءات واجتماعات مع رجـال الفكر الإسـلامي، تسـودها رحابة الصـدور، وصدق النصيحة، ومودة التفاهـم على حل المشكلات الشبابية والشبهات الفكرية والأخلاقية»[1].

والشبـاب في نظر الأستـاذ أحمد هـم بـإذن الله تعالى أمـل الإنقـاذ، ورجـاء الخلاص مستقبـلاً[2] «أجـل، لكـي نعيـد الشخصيـة العـربيـة الإسـلاميـة الأصيلـة إلى عقـول المسلمين عـربـاً وعجماً، وإلى ألسنتهـم ووجـوههـم وهيئـاتهم يجب أن نبـدأ مـن الآن بـالشبـاب ليبـدلـوا غـدا مانشكـوه، ويحققوا مـانرجـوه»[3] «ولكن المطلـوب، بل المفـروض على مـؤسسـات الأمـن العـام في المجتمعـات العـربيـة، ووزارات التربيـة والتعليم، ومايسمـى بوزارات الثقافة والشبـاب ووزارات الإعلام أن تهتم بـالإعداد للمستقبـل، أعني بتـدارك الشبـاب العربي في مجالات التربيـة والتعليم والثقـافة والإعلام والـرياضة، وهـو في مرحلته الخطيرة، مـرحلة النمو والتلقـي والاقتداء، وتـوجيهه وجهـة الخير والبر والتقوى، وإبعـاده عن المؤثـرات والمغريـات الحضاريـة الوافـدة أو الواردة مـن شرق أو غرب وتحصينه بثقـافة إسـلامية وثيقـة يستطيع أن يـوجه بها مـا سميناه الغـزو الفكري والخلقي لتراثنا العقدي والأخلاقي الأصيل النبيل»[4].

---

(١) خطوات على طريق الدعوة ٢٥.
(٢) خطوات على طريق الدعوة ١٢٣.
(٣) خطوات على طريق الدعوة ١٢٣.
(٤) خطوات على طريق الدعوة ١٢٢.

«ولو أننا- رجال كلمة وتعليم وإعلام- في العالم الإسلامي، والعربي بصفة خاصة تفرغنا واهتممنا وأخلصنا لقضية الشباب، ذكوراً وإناثاً لصلح ما فسد من أمرنا، وقوي ما ضعف، واستقام ما اعوج. وكان السبيل إلى عزة الإسلام وقوة المسلمين سهلاً ومضيئاً»[١].

وما هي الوسيلة الناجعة لكسب الشباب بإذن الله تعالى؟

الأسوة الحسنة والرعاية الواعية والرقابة الكافية. لقد طرح على الأستاذ أحمد جمال سؤال مترتب على المؤتمر الطلابي المنعقد في إسبانيا ومتعلق بمشكلات الشباب في العالم الإسلامي وكيفية معالجتها. ومما جاء في الجواب: «في نظري: أن الشباب المسلم يفتقد الرعاية الواعية والرقابة الكافية والحرص اللازم من ولاة الأمور، آباء ومعلمين وحكاماً، على تجنيبه مهاوي التقليد الأعمى التي تتفتح أمامه عن طريق الكتب والمجلات والصحف والإذاعة والتلفاز والرحلات إلى خارج محيطه الخاص، حيث التحلل من القيم والمباديء الدينية والأخلاقية.

إن الرعاية الموجودة للشباب المسلم في بلاده، وخاصة في المدارس والجامعات، ليست كافية لردعه عن الانهيار النفسي، والانحدار الخلقي، اللذين يعانيهما. ولن يخلص منهما عن طريق الندوات والمحاضرات والمواعظ والنصائح. وإنما يخلص منهما- كما أسلفت- بالتربية التطبيقية الحازمة في كافة مجالاته وعلاقاته وحركاته وسكناته»[٢].

وبشأن الطلاب المبتعثين يعنى بهم الأستاذ أحمد جمال عناية بالغة. وبشأن الأسئلة التي توجه إلى الشباب من قبل الخصوم والتي يحتاج

---

(١) خطوات على طريق الدعوة ٣٠.

(٢) خطوات على طريق الدعوة ٣٢ وانظر: أوصيكم بالشباب خيراً ٢١٦ و٢١٧.

الشباب للوقوف على أجوبتها وحقيقة البواعث على طرحها هو يرى في سبيل تسليح الشباب : «لا أقل من أن تهيأ دورة للطلاب المبتعثين قبل سفرهم إلى الخارج، يتسلحون خلالها بمعرفة حقائق الأديان الثلاثة، والفرق بينها، وحقائق المذاهب الضالة العصرية»[1] والوقوف على أجوبة الأسئلة التي يطرحها غالباً غير المسلمين على المسلمين .

وبفضل الله تعالى قد تحققت في المملكة العربية السعودية هذه الدورة للمبتعثين . إن كل طالب يهيأ للابتعاث عليه حضور تلك الدورة التي تعقدها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لهذا الغرض .

ومما أوصى به مساعدة للمبتعثين من الشباب وأخذاً بأيديهم إلى سواء السبيل بإذن الله تعالى اقتراحه إنشاء بيوت إسلامية للطلاب في أوربا وأمريكا . يقول رحمه الله في هذا المعنى : «ينبغي للدول العربية والإسلامية أن تنشيء لطلابها في أوربا وأمريكا بيوتاً إسلامية يقيمون فيها أو يترددون عليها . بحيث يجدون في نظامها الإجتماعي والأخلاقي والديني جو بلادهم وأمتهم»[2] .

وتحقيقاً للهدف ذاته وهو السعي لربط طلابنا في الخارج بمبادئنا وديننا الحنيف يقترح في المحيط العائلي الإكثار من المراسلات الخاصة بين الطالب المبتعث وبين أهله الذين يستطيعون عن طريق المراسلات القيام بالدور الإرشادي والتوجيهي .

ويقترح في المحيط الصحافي تزويد الطلاب بالصحف المحلية عن طريق الملحقين الثقافيين، ويقترح في المحيط الحكومي تزويد الطالب

---

(١) أوصيكم بالشباب خيرا ٢١٠ .
(٢) أوصيكم بالشباب خيرا ١٢٩ .

ببعض الكتب والمنشورات التي تعتبر بمثابة سلاح الطالب في طريقه الطويل ورفيقه الأمين في غربته[1] ويكون هذا التزويد بالكتب القيمة موصولاً[2].

وتجاه الحرب الموجهة إلينا نحن المسلمين وبخاصة الشباب والمرأة يكرر النداء بالاستمساك بتعاليم ديننا الحنيف. ومما جاء في هذا المعنى القول: «وليست هناك مواجهة صالحة وناجحة وفعالة لهذا التحدي الأثيم اللئيم الموجه إلينا من أعداء الإسلام إلا العودة إلى العقيدة الإسلامية، وشريعتها العادلة الفاضلة، وأخلاقها القويمة»[3].

ومن الطبيعي أن ينال شباب المملكة وشاباتها اهتمام الأستاذ أحمد جمال. ومن منطلق المعلم الغيور والأب الحنون يقترح أمام عجز الجامعات الضخام السبع والكليات الكثر الحكومية عن استيعاب جميع خريجي المرحلة الثانوية وخريجاتها يقترح إنشاء جامعات أهلية، هذا إلى تطوير المعاهد الصحية والمهنية والفنية إلى مستوى كليات جامعية[4] كما يقترح إنشاء مدارس لأولاد السفراء في البلاد التي يقيمون فيها في قارات الدنيا[5].

وإن من أجلّ اقتراحات الأستاذ أحمد للأخذ بيد الشباب السعودي حديث العهد بالتخرج هذا الاقتراح: «وبهذه المناسبة نأمل من ديوان الخدمة المدنية - بالاشتراك مع المسؤولين في جامعاتنا- إعادة النظر وتفهم

---

(١) انظر أوصيكم بالشباب خيراً ١٢٨.
(٢) انظر أوصيكم بالشباب خيراً ٢٢٨.
(٣) أوصيكم بالشباب خيراً ١٩٥.
(٤) انظر: أوصيكم بالشباب خيراً ١١٢ ١١٤.
(٥) انظر: أوصيكم بالشباب خيراً ١١٤.

حاجة المتخرجين الشديدة إلى رفع مـرتباتهم من السادسة إلى الثامنة- على أقل تقـدير- لتمكينهـم من الـزواج الذي يلبـون به نـوازعهم الطبيعيـة، ويقيمـون عليه بيـوتهم السعيدة، وينجبـون ذريتهم الـرشيدة، وتستقـر نفـوسهـم، وتحسـن أعمالهم، وتخلص قلـوبهم وجـوارحهـم تجاه أمتهـم ودولتهم.

وإلى جانب هذا الأمل في إنصاف المتخـرجين، نرجو أن يكون هناك اقتداء من الدولة بجاراتها في الخليـج العربي، بمنح المقدمين من الشباب على الزواج هبات مالية تعينهم على مستقبل حياتهم الزوجية»[1].

وهكذا كـانت عنايـة الأستاذ أحمد جمال بـالشباب شاملـة للشباب العربي المسلم في كل مكان، في الداخل والخارج على حد سواء.

---

(١) أوصيكم بالشباب خيراً ٢٣٩.

عنايته بالمرأة

حينما عني الأستاذ أحمد جمال بالشباب كان يريد الجنسين، الذكور والإناث على حد سواء. ولما كانت المرأة على جهة الخصوص هدفاً من أهم أهداف الخصوم من أجل حملها على الخروج عن الصراط المستقيم فقد كانت من الأستاذ أحمد جمال اهتمامات كبيرة في التصدي لتلك الحملات المغرضة. ومن بين كتاباته عن المرأة الكتاب الخاص بها والذي يحمل هذا العنوان: مكانك تحمدي. ولما كانت هذه الدراسة تركز على رحلات الأستاذ أحمد جمال الإسلامية وبعض اهتماماته في تلك الرحلات، ولما كانت المرأة قد اهتم بها رحمه الله في رحلاته الإسلامية ولقاءاته الفكرية، فإني أود أن أشير هنا إلى بعض مظاهر هذه الاهتمامات.

بما أن على الأمة الإسلامية أن تعود إلى بارئها جل وعلا كي يعود إليها مجدها الغابر بإذن الله تعالى فإن مسؤولية هذه العودة شركة بين كل من الرجل والمرأة. ومما قاله رحمه الله في هذا المعنى: «ويجب أن تعود المرأة في المحيط العربي والإسلامي إلى عقيدتها وشريعتها حين تتزوج وحين تنجب وحين تلبس، وحين تخرج وحين تتكلم، وحين تستمع.

وقد ذكرت المرأة لأنها المحور الذي يدور حوله أعداء الإسلام، لفتنة المسلمين، وشغلهم بالشهوات والملذات عن مهام الأمور ومعاليها، وعن الأخطار المحدقة بهم المسددة إليهم من هؤلاء الأعداء الألداء»[1].

---

(١) خطوات على طريق الدعوة ٢٩ وانظر صفحة ٨٨و١١٧و١١٨ بشأن الحجاب.

ولما كان الإسلام لا يمنع من أن تتعلـم المرأة وتعمل ولكنه ينهي عن الاختلاط فإن الأستـاذ أحمد جمال يحذر من اختلاط النساء بالـرجال . ومما قـال في هذا المعنـى : «والإسلام لا يمنـع - كما قلنا مـراراً - من أن تتعلـم المرأة وأن تعمـل ، ولكـن بشرط عـدم الاختـلاط مـع الـرجـال . وهـذا مـا يجري - بحمد الله - في المملكـة العـربية السعـوديـة حيث الانفصـال الكامل بين الجنسين في مجال التعليم والعمل .

وإذن فقـد أعطينـا المرأة حقها في التعليـم وفي العمـل ، في حـدود الشريعـة الإسلاميـة ، وفي نطاق مصلحتهـا ومصلحـة المجتمع ، حيـث امتنـع الفسـاد الـذي ينجـم عـن الاختـلاط المطلـق ، كما هـو واقـع في المجتمعات الأخرى .

كما استفـدنا - في الـوقت نفسـه - بتعليـم المرأة وعملها في القطـاع النسوي ، كالمدارس والجامعات والمستشفيات وغيرها»[1] .

والمرأة مسؤولـة عن تـربية أولادها كـالرجـل تماماً : «بـل إن القسط الأكبر مطلوب منها ، لأنها أكثر معاشرة للأولاد في البيت من الأب» .

وقد أكـد التوجيه النبـوي حقيقة اشتراك الأبويـن في مسؤولية تـربية الأولاد في قوله ﷺ : «**كل مولود يولد على الفطـرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[2] .

وفي سبيـل تبيين الدور العظيـم للمـرأة التي تـرعـى شؤون زوجهـا وأطفالها وبيتها ما أكثر استشهاد الأستاذ أحمد جمال بجواب المصطفى ﷺ رداً على سؤال وافدة النسـاء أسماء بنت زيد[3] لقد جاءت وافـدة النساء

---

(١) أوصيكم بالشباب خيراً ٢٢٢ وانظر خطوات على طريق الدعوة ٨٧-٨٩ .
(٢) خطوات على طريق الدعوة ٨٩ .
(٣) انظر مثلاً : خطوات على طريق الدعوة ١ / ١٠٧ وخطوات على طريق الدعوة ٨٦ و٢٣٧ .

النبي ﷺ لتسأله عن مقام المرأة وعاقبة المرأة، وهي حاملة الأولاد وقعيدة البيت وحافظة المال والعرض، بينما الرجل يمتاز عليها بالجمعة والجماعة والإنفاق من ماله وبالجهاد في سبيل الله، وليس بيدها من ذلك شيء!! لقد قال لها ﷺ: يا هذه اعلمي وأعلمي من خلفك من النساء أن تبعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله»[1].

«وحسن التبعل هو أداء المرأة لواجب الزوجية والأمومة بأمانة وصدق».

ذلك لأن مهمة الزوجية وواجب الأمومة ليسا يسيرين أو ثانويين، بل هما أساس قيام المجتمعات السوية القوية، السعيدة الرشيدة.

إن البيوت التي يشقى أزواجها، ويضل أبناؤها، من المستحيل أن ينشأ عن مجموعها مجتمع سعيد رشيد»[2].

(١) خطوات على طريق الدعوة ١/ ١٠٧.
(٢) خطوات على طريق الدعوة ٨٦.

غيرْته على اللغة العربية

غيرة الأستاذ أحمد جمال على اللغة العربية شديدة لأنها لغة القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ . وأنت حينما تقرأ ما كتب الأستاذ أحمد وما ألقى من كلام في المحاضرات والندوات والمحاورات تتبين حظ اللغة الموفور من العناية في كل المناسبات وعلى جميع المستويات .

إنه يعنى بالتلاميذ وهم عماد شباب هذه الأمة وأملها الباسم بإذن الله تعالى . ومما قال في حقهم بشأن دروس العربية والدينية كذلك : «وفي مناهج التربية والتعليم عمت البساطة والسهولة والصداقة المتسامحة بين المعلمين والطلاب ، ونودي بتيسير قواعد العلوم والآداب . فكان ثمرة ذلك تعطيلاً لملكات الدرس والفهم والتفكير في الطلبة . إلى جانب ما ألهيناهم به مع قصر فترة الدراسة ، من أنشطة سميناها اجتماعية وفنية ، ورحلات سياحية ، ودورات زعمناها تدريبية أو تربوية . بالإضافة إلى تقليل حصص الدروس العربية والدينية . حتى رأينا الطالب الثانوي لا يستطيع أن يقرأ آية من القرآن صحيحة النحو سليمة الترتيل . بل لا يستطيع أن يقرأ بيتاً من الشعر أو فقرة من النثر، مما سبق أن درسه على أيدي معلميه- الأكابر- إلا أن يخطيء في ذلك نحواً ونطقاً»[1] .

ولما كانت اللغة العربية عماد الثقافة الإسلامية وكان القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين وكانت سنة المصطفى ﷺ هي المبينة للقرآن الكريم وكان الجانب القولي منها بلسان عربي مبين فإن الأستاذ أحمد

---

(١) خطوات على طريق الدعوة ١٨٩ .

جمال في سبيل الحث على التفقه في علوم القرآن الكريم وعلوم السنة النبوية المطهرة يحث الأساتذة والطلاب على مواصلة طلب العلم، ومما قال في هذا الشأن: «أي أن الثقافة الإسلامية تنقص المسلمين وبخاصة الشباب. بل إنها تنقص حتى المتخصصين في علوم الشريعة والعقيدة، لأن هؤلاء، مع الأسف الشديد، يكتفون بما حفظوه من نصوص وقواعد، وأصول ومبادىء، ويعتزون بما حملوه من شهادات عليا في هذه التخصصات، ولكنهم لا يحاولون أن يتفقهوا في حقيقة الدين الإسلامي، وتطبيقاته في سلوك النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ومن تبعهم من الولاة والأمراء والأئمة والفقهاء»[1].

ولما كانت مقررات مجامع اللغة العربية لا تكاد تصل إلى الخاصة فضلاً عن العامة فقد قال الأستاذ أحمد بشأن هذه المقررات: «الذي لفت نظري واستدعى تعليقي هنا على المجامع اللغوية العربية هو أن الجماهير في الدول العربية والإسلامية، وفي مقدمتهم طبقات المثقفين على اختلاف مجالاتهم من علماء وأدباء وصحافيين وطلاب علم ومدرسين، لا يعلمون شيئاً عن مقررات هذه المجامع، لأنها تنشر في مجلات دورية، سنوية في الغالب، وتهدى أو تباع للمؤسسات العلمية الكبرى من جامعات وغيرها لتحفظ في المكتبات دون أن يطلع عليها حتى أساتذة الجامعات وطلابها!»[2].

وكانت دعوة الأستاذ أحمد حارة لنشر اللغة العربية في الخافقين وتعريب الشعوب الإسلامية وبخاصة تلك التي انضمت إلى جامعة الدول العربية كالصومال. وكان حظ الصومال من رحلات الأستاذ أحمد

---

(١) خطوات على طريق الدعوة ٢/ ٧٦ وانظر: أوصيكم بالشباب خيراً
(٢) خطوات على طريق الدعوة ١٥٣.

الإسلامية موفوراً، فقد كان من نصيبه أكثر من رحلة . ومما لفت انتباهه بشأن الصومال عراقة اللغة العربية فيه منطوقة ومكتوبة . فقد لاحظ - مثلاً - في أثناء الزيارة للمتحف القومي : «أن الخطابات الموجهة من سلاطين الصومال الغابرين إلى السلطات الاستعمارية كانت مكتوبة باللغة العربية حرفاً ومعنى . وذلك دليل على عراقة اللغة العربية في الشعب الصومالي»[1] ولهذا كان سرور الأستاذ أحمد كبيراً بقرار مجلس وزراء الصومال بالعودة إلى تعريب الصوماليين ، وإلى الحروف العربية في كتابة اللغة الصومالية ، بعد أن استبدل بها الحروف اللاتينية قبل بضع سنين»[2] .

وحثاً للخلف على النسج على منوال السلف في العناية باللغة العربية ووجوب مواصلة السير في الطريق الذي شقه السلف الصالح يتخذ من ملاحظاته على الشعب الكيني الذي يسهل تعلمه للغة العربية بسبب تغلغل اللغة العربية في أعماق لغات شرق أفريقيا على جهة الخصوص يتخذ من ملاحظاته مطية للعناية باللغة العربية وتعريب تلك الشعوب . بعد الإشادة بجهود الهنود والباكستانيين في نشر الإسلام يقول : «وأنا أضيف إلى الهنود والباكستانيين إخوتنا الحضارمة ، فإن المهاجرين منهم إلى كينيا وإلى بقية دول أفريقيا بصفة عامة ، قد أثروا في الأفارقة إسلامياً وعربياً تأثيراً كبيراً . ومن مظاهر هذا التأثير ونتائجه الباهرة مع الكينيين انتشار اللغة العربية بين المتزاوجين والمتناسلين من الفريقين .

---

(١) خطوات على طريق الدعوة ٣٩ .

(٢) خطوات على طريق الدعوة ١/ ٩٤ وانظر ١٠٠-١٠٤ وخطوات على طريق الدعوة .

وقد لاحظت - أنا شخصياً - سرعة تعلم الكيني للغة العربية عندما يحضر إلى المملكة للعمل والتكسب»[1].

ومما عجب له الأستاذ أحمد اهمال المهاجرين العرب للغة العربية بحيث إن الجيل الأول يكاد يفقد اللغة العربية فكيف بالجيل الثاني أو الثالث وذلك على غرار ما صادفه في أستراليا[2] مثلاً. على حين يحرص غير العرب على تعلم اللغة العربية على غرار ماصادفه في سنغافورة[3] مثلاً. وقد علق الأستاذ أحمد على هذه المفارقات قائلاً: «كانت ظاهرتان: إحداهما تسوء، والأخرى تسر. لأن الأولى فيها العرب يستعجمون. والثانية فيها العجم يستعربون. أليس ذلك عجباً. عجباً متناقضاً بين مايسر ومايسوء؟»[4].

ولما كانت مسؤولية تعليم اللغة العربية ونشرها خطيرة وضخمة وتحتاج إلى تعاون الحكومات والمؤسسات الإسلامية فإن الأستاذ أحمد يهيب بتلك الجهات أن تقوم بمسؤوليتها. يقول: «إن البدء في الدعوة الإسلامية بتعليم اللغة العربية مُهم جداً... لكل المسلمين في أفريقيا وآسيا عامة. وهي مسؤولية المنظمات الإسلامية المهتمة بإرسال الدعاة والمدرسين والخطباء إلى هاتين القارتين كرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ودار الإفتاء بالرياض، والأزهر في مصر»[5].

ويتحسر الأستاذ أحمد على العرب الذين أصبحوا تبعاً للغرب في كل شيء حتى بعد الاستقلال، بل إن بعضهم أساء إلى العروبة

---

(١) خطوات على طريق الدعوة ٩٥.
(٢) خطوات على طريق الدعوة ٩١ و١/ ٦٥ و٢/ ٦٠.
(٣) خطوات على طريق الدعوة ٩٢.
(٤) خطوات على طريق الدعوة ٩٣.
(٥) خطوات على طريق الدعوة ١٤٦.

والإسلام بأكثر من المستعمرين فإن من العرب بعد الاستقلال من حرم تعدد الزوجات، ومن أباح الفطر في رمضان، ومن ألغى المحاكم الشرعية، ومن أحال الجامعات الدينية إلى مدنية[1] وقد استدل الأستاذ أحمد على فضل العرب واللغة العربية بآراء فريق من العلماء منهم الإمام ابن تيمية[2].

ومن أقواله التي تفيض أسى وحسرة القول: «أما مسلمو اليوم فإنهم عندما يرحلون إلى ديار غير ديارهم في أوربا وأمريكا فإنهم يرون في إسلامهم خزياً وعاراً، فيتجردون من ملابسهم، ويتشبهون بأهل تلك الديار ثياباً وكلاماً وأخلاقاً و: من تشبه بقوم فهو منهم. وليس منا من تشبه بغيرنا، كما هو النذير النبوي المعروف»[3] والقول: «إن العرب وقد تخلوا عن دينهم وفقدوا أصالتهم لم يعودوا عرباً، وإنما هم مقلدون فاشلون، حيث لا عروبتهم حفظوا، ولا بدينهم اتعظوا، ولا تقليدهم للغير أحسنوا!»[4].

(١) انظر - مثلاً - خطوات على طريق الدعوة ١٨٦ و١٨٤ و١٨٥، ٢٢١، ٨٤.
(٢) انظر - مثلاً - خطوات على طريق الدعوة ١٨٠ - ١٨٣ و١/ ١٠١ و٢/ ٦٢ و٢/ ٧٤ و٧٥.
(٣) خطوات على طريق الدعوة ٢/ ٣١ وانظر: أوصيكم بالشباب خيراً ٢٨.
(٤) خطوات على طريق الدعوة ١٩٧.

الخاتمة

بفضل من الله تعالى ونعمه تحدثنا في الصفحات السابقة من هذه الدراسة وهي بعنوان: الشيخ أحمد محمد جمال ورحلاته الإسلامية عن بعض الأمور ذوات العلاقة بالدراسة تحت عنوان: تمهيد، وعن رحلته الأخيرة إلى القاهرة التي لقي الله تعالى فيها تحت عنوان: «إنا لله وإنا إليه راجعون» وعن رحلاته الإسلامية بصفة عامة، وعن نماذج من القضايا التي كانت تشغل باله عليه رحمة الله تعالى. وهذه القضايا هي قضايا الشباب والمرأة واللغة العربية. والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل إنه جل وعلا أكرم مسؤول وأعظم مأمول. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

فهرست المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- (جمال) أحمد محمد:

● أوصيكم بالشباب خيراً. دعوة الحق. سلسلة شهرية تصدرها رابطة العالم الإسلامي. السنة التاسعة. العدد ٩٥ العام ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

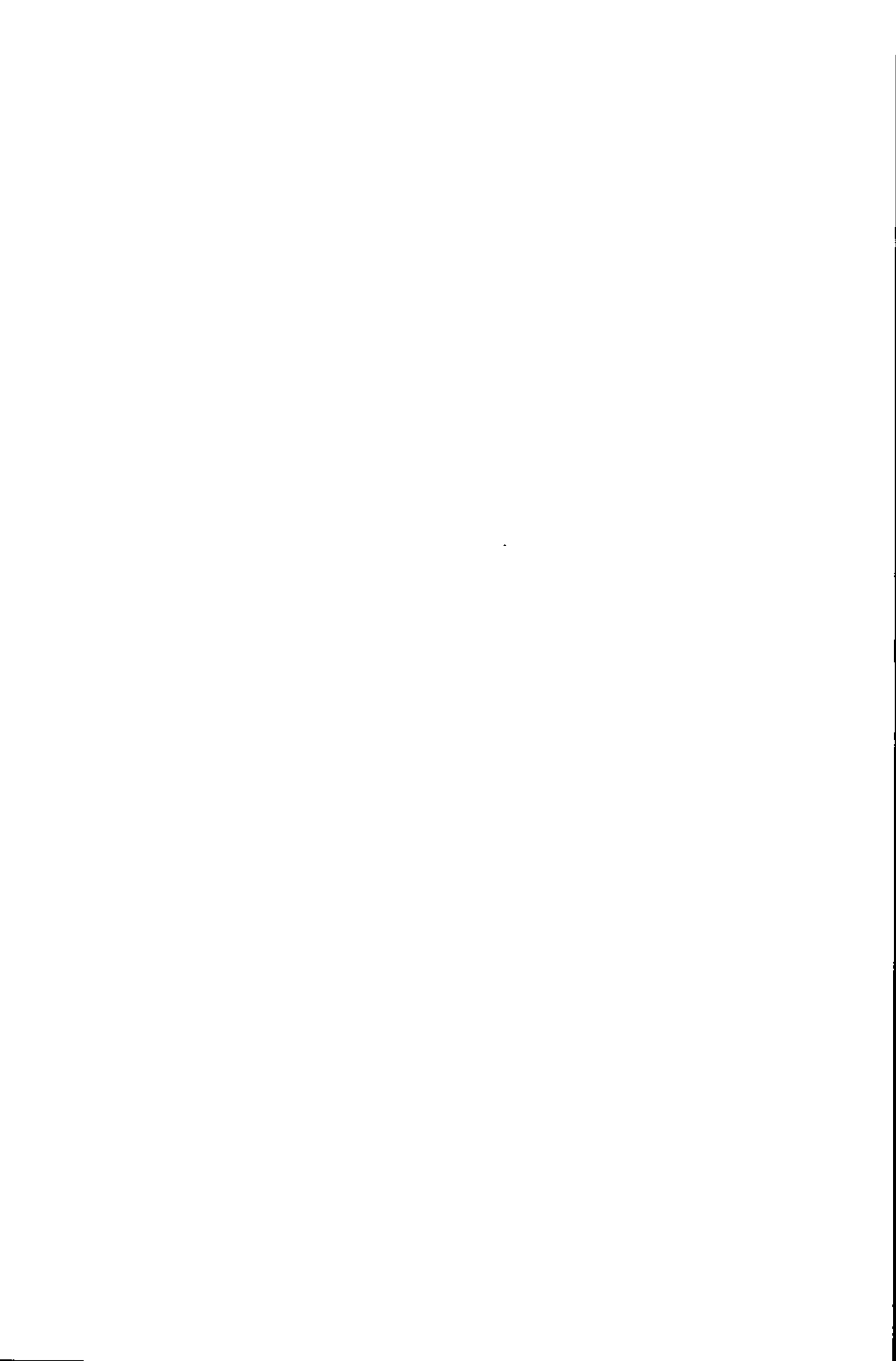
● خطوات على طريق الدعوة. دعوة الحق. السنة الثامنة. العدد ٨٢ العام ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م،

● خطوات على طريق الدعوة. الجزء الأول. دعوة الحق. السنة الحادية عشرة. العدد ١٢٩. رمضان ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

● خطوات على طريق الدعوة. الجزء الثاني. دعوة الحق. السنة الحادية عشرة. العدد ١٣٠ شوال ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

أنا وأحمد محمد جمال (رحمه الله)

بقلم الأستاذ الدكتور
عبدالصبور مرزوق
نائب رئيس المجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية القاهرة – مصر



الفصل الرابع :

* أنا وأحمد محمد جمال .
* رجل دعوة .

أنا وأحمد محمد جمال

الشاعر الرقيق، والكاتب المقتدر، صاحب الكلمة والموقف والأفق المستنير. . والداعية المستجاب له!!

كل أولئكم. . هو الأخ الأعز، والصديق الذي قليل مثاله: أحمد محمد جمال يرحمه الله، ونسأل له حسن المثوبة.

في أول علاقتي به كانت بيننا الكلمة. . قرأتها له في ديوانه الشعري الذي غنى فيه للحب وللحق وللجمال والخير- ثم لكبرياء الإنسان!!

وكأنها أجفلت نفسي من هذا التواصل بين «الشاعر» وبين «الداعية». . بيد أني سرعان ما تذكرت أرق وأخلد الثلاثة الشهداء في يوم «مؤتة» الشاعر الفارس «عبدالله بن رواحة».

ثم تذكرت آخر الشهداء والشعراء والدعاة أيضاً في عصرنا الشهيد سيد قطب، فهدأت النفس من نفرتها، وأخذ العقل يقلب الأمر، وكأنه أمام ظاهرة تستوجب التأمل. . .

نعم هي ظاهرة. . لأن كثيرين ممن أحسنوا خدمة الإسلام، وكان لهم في الدفاع عنه جهاد وجهود. . كثيرون من هؤلاء بدأوا شعراء وأدباء، وانتهوا مشغولين بالإسلام أو حماة له. .

هكذا فعل شوقي الذي كانت أخرياته هي «إسلامياته».

وهكذا فعل العقاد الذي كانت عبقرياته هي أخرياته. .

وهكذا فعل طه حسين، وسيد قطب، ومحمد متولي الشعراوي، وأحمد محمد جمال.

فهل لهذا دلالة؟

في تقديري أنه ربما كان من حكمة الحق سبحانه لإحكام صياغة «الكلمة» المرشحة للدعوة، والمقدّر لها ان تستجيش كوامن الشاعر وصولاً إلى مستقرها في القلوب والعقول أن تصقل هذه «الكلمة بمهارات وخبرات تفيدها من إبحار صاحبها في سفائن الحياة ودروبها ليأخذوا من كل فن بطرف كي يكون على أطراف ألسنتهم أو ألسنة أقلامهم، ما لا يمكن أن تظفر بمثله إذا بقيت حبيسة التداول «المحدود».. على ألسنة العلماء والفقهاء.. أقول هذا وفي خاطري وفي سمعي كلمات قيلت في وصف ابن عباس رضوان الله عليه بأنه «نعم ترجمان القرآن».

والثابت- في ترجمة ابن عباس- والسابق أيضاً في تكوينه الثقافي أنه كان ذوّاقة للشعر، وأنه كان يستنشده الشعراء في مسجد الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

نحن هنا أمام ظاهرة توشك أن تطرد: أن يكون أقدر الدعاة إلى الله وأوفاهم وأدقهم تعبيراً عن عطاء دينه العظيم، أولئك الذين تدركهم «حرفة الأدب» فيسيحون في دروبه، ويلحقون في أروقته وفراديسه، ويكنزون الدوران في رحابة، حتى إذا حان ميعاد رسوهم على الشاطيء المأمون عند النهاية.. كان شاطيء «الإسلام» هو الخاتمة والمستقر.

ترى.. هل بعد بنا الحديث عن «أحمد محمد جمال»؟

أنا أقول: لا.

بل إني لأكثر اقتراباً من أغواره، ومن مكنون فكره وثقافته. فالرجل

بتأثيربدايته الشعرية كان سمح العبارة صافي الاسلوب . . لكن لقلمه تمّرداً عنيداً كتمرّد ذلك المبحر في العباب إذا أتته الريح بما لا يشتهيه، فهنا تكون الكلمة : الموقف . الذي كأنه مفاصلة بين الحياة والموت . . حتى وإن أخذ كل الواقفين على الشاطيء يدعونه إليهم إشفاقاً عليه من مواجهة الخطر . .

أقول هذا وفي خاطري أحمد محمد جمال الذي وقف وحده ذات يوم مدافعاً عن «أنور السادات» مبرراً خطوته إلى «القدس» يوم كان العالم العربي كله مغاضباً للسادات، وحتى لمصربسبب هذه الخطوة .

وقف أحمد محمد جمال يقوده خيال الشاعر كي يستشف المستقبل من ستر رقيق يرى فيه ما لم يكن يراه الآخرون، أو ربما رأوه وعجزوا عن التحدث به!!

وتمضي الأيام لتؤكد أن أحمد محمد جمال كان شفاف الرؤية نفاذها حينما أشفق على القضية- قضية الأقصى والقدس وفلسطين من «الفرص المضيعة» التي تكون دائماً في صالح الآخرين منذ رفض قرار «التقسيم» سنة ١٩٤٧م إلى مايسمى بإتفاق غزة- أريحا الهزيل المشؤوم .

ولو قد عاش أحمد جمال ورأى «عرفات» وهو يمدّ يد المصالحة والمصافحة إلى عدوه الألد -رابين- احتفالاً بتنصيبه رئيساً على دولة غزة أريحا التي لاتزيد مساحتها على أحد الأحياء في مكة المكرمة . . . لنزف قلبه دماً على كلماته التي لم يسمعها أحد .

أما عن «الإنسان» في أحمد محمد جمال

فكأنه مجتمع كبيرورحيب يضم في جنباته باقة من أعطر الفضائل في صفات الرجال، ترى فيه لهفة الأب الحاني على ولده، تربت يده

الحانية على أكتافهم لتدفيء بالحب وبالحنو من حواليهم شقاء الحياة.

وترى فيه الصديق الوفيّ، الذي يحميك في غيبتك بأعز وأقوى مما يحميك في حضورك، ثم هو دائماً كريم النفس واليد، وسع الناس بماله وبأخلاقه جميعاً عليه رحمة الله.

هكذا هو في الإقامة، وفي الحضر..

أما هو في السفر فأنت مع صاحب لطيف العشرة عَفّ اللسان، حلو الدعابة، كثير الملاحظات والتعقيبات.. أمين.. وكريم.

جمعتني به الأيام في أكثر من دار من ديار الإسلام وفي بعض ديار أهل الكتاب التي كنت أقيم فيها دورات لتدريب الدعاة برعاية الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي.

رجل دعوة

كانت إحدى هذه الدورات في مدينة «نواكشوط» عاصمة الجمهورية الموريتانية؛ وأذكر يوم عرضت المشاركة فيها وصحبة ذلك النفر من علماء الأمة «الدكتور المهدي بن عبود والشيخان محمد الغزالي وسيد سابق، والشيخان أبوبكر جومي، وآدم عبدالله ألوري من نيجيريا رحمهم الله وغيرهم. .

وفي الموعد المقرر لهذه الدورة كان الأخ أحمد جمال على ارتباط مسبق بأحد اللقاءات العالمية خارج المملكة، وهمّ أن يعتذر لكنني آليت عليه- إن كانت لي عنده منزلة- أن يؤثرنا بالصحبة ولو لبعض الوقت بأي اسلوب يراه.

وكان من لطفه- رحمه الله- أن قسم الزمن بين اللقاءين، ثم آثر بالبداية. وكانت دورة «موريتانيا. . هذه في ظل ولاية الرئيس الأسبق «المختار ولد داده- جمّل الله أيامه- وفي أيام الدورة حدث انعقاد المؤتمر العام السنوي للحزب عندهم، وشممت هناك رائحة نزعة إلى «الزنجية» يتحفز لها بعض من تعبث بهم الأيدي المتآمرة لتحريك نزعة انفصال عن عروبة موريتانيا، والاستقلال بالمناطق التي فيها إخوة من أصول زنجية.

وحدثت الأخوة العلماء من أساتذة الدورة، ومنهم - بالطبع أحمد جمال. والشيخ الغزالي، ورتبت لهما أن يشاركا في الاجتماع العام للحزب.

وحين قدمني المسؤولون هناك للحديث بصفتي المشرف على دورة التدريب حرصت على أن أفتح «القضية» قضية عروبة الشعب الموريتاني، الذي تجري العروبة ليس فقط في دمائه، بل في طباع أهله وسماتهم، وعلى ألسنتهم، حيث يكاد المثقفون منهم ألا يتحدثوا إلا

بالشعر العربي العمودي الأصيل، وبالعربية الفصحى مبرّأة من أي لحن.

ثم دعوت الشيخين الغزالي وأحمد جمال فأسهما في الموضوع إسهاماً ارتجت له ليس أركان مكان الاجتماع، بل أركان قلوب وعقول الحاضرين جميعاً إعجاباً واستجابة. ووئدت في مهدها مشكلة أو مؤامرة سياسية كانت تحاول شق جدار الوحدة الوطنية للشعب المسلم العربي الشقيق: مما كانت له اصداؤه، وآثاره على مسار موريتانيا ومستقبلها لم نكن نقدّر أننا سخّرنا- بفضل الله- لهذا الدور فيها.

أما الثانية فكانت أيضاً في دورة أخرى لتدريب الدعاة في «الصومال» على عهد الرئيس الأسبق الجنرال سياد بري.

وكان من الأهداف الجانبية للدورة - محاولة تقصي حقيقة ما أذيع من أن الرئيس الصومالي أثناء حربه مع «أثيوبيا منجستو» قد سلم عدداً كبيراً من يتامى الأطفال المسلمين- ألفين أو ثلاثة- إلى أحد المنصرين ليتولى رعايتهم.

وكانت الدورة في شهر رمضان. .

وكانت لنا عادة بعد الافطار، وبعد التراويح، أن نخرج - نحن الاساتذة معاً لنتجول في الحديقة الضخمة المحيطة بالمكان الذي كان معداً لإقامتنا.

وذات ليلة- ونحن في تجوالنا فوجئنا بوزير العدل الصومالي يبحث عنّي لأن الرئيس قرّر استقبالي في هذه الساعة. وحين استأذنت الاخوة كي أغير ملابسي- قال لي أحمد جمال يرحمه الله «لا تنسى موضوع الأولاد». فابتسمت ولم أعقب.

ومضيت إلى لقاء الرجل، وكان لقاء فيه تعبير عن المرارة والاحساس بخيبة الأمل، إذ كانت لي بالرجل علاقة قديمة منذ أكثر من عشرين عاماً يوم كان هو حاكماً لإقليم بَيْدوة مسرح العمليات العسكرية الكثيرة مؤخراً مع قوات الأمم المتحدة. أما أنا فكنت أدير المركز الثقافي للمؤتمر الإسلامي بمقديشو عاصمة الصومال.

وانتهى اللقاء الذي شهده- بترتيب من الرجل- ثلاثة من السفراء العرب.. وعدت إلى زملائي الاساتذة الذين كانوا ينتظرونني على أحرّ من الجمر كما نقول.

وكان أحمد جمال أول من سألني متضاحكاً: كيف استقبلت الرجل؟ قلت بل هو الذي استقبلني. قال: أعرف لكني أسألك: كيف كان استقبالك له؟ وهل قدرت أن تحاسبه على فعلته؟

فرويت له وللإخوة الزملاء كل ما دار بيني وبين الرجل.. ثم سألت أحمد جمال.. هل عرفت كيف استقبله؟ وكانت المفاجأة إذ قال:

قال: لا.. بل خدعك والله الرجل.. ولقد قدّمت له «السعودية».. وقدمت.. وقدمت!! قلت: أعرف. وإنشاء نفقي السدّ الكبير على نهري «الجوبا» و«الشبيلي» قال: وما لا تعرفه أكثر وأكثر..

قلت متضاحكاً:

والآن فلا لوم عليّ لأني شهدت بما علمت.. أما أنت فلك امتيازك بعلم مالم أكن أعلم، وأسلافنا قالوا: «من حفظ حجةٌ على من لم يحفظ»

فابتسم الرجل ومد ذراعيه ليأخذني بين أحضانه ويقول: بل أنت الحجة أبا أيمن رحم الله أحمد جمال.. وأجزل مثوبته على ماقدم..

ورحم الله جيل الشوامخ الذي كانت خطاهم على الدروب هي

معالم الطريق .

أحمد محمد جمال
بين العلم والأدب

بقلم:
د. عاصم حمدان علي حمدان
جامعة الملك عبدالعزيز- جدة

الفصل الخامس :

- أحمد محمد جمال بين العلم والأدب .
- محاورته لخالد محمد خالد .

أحمد محمد جمال بين العلم والأدب

الحديث عن العالم الفاضل أحمد محمد جمال- رحمه الله- حديث متعدد الجوانب، تعدّدت تلك المواهب التي من الله بها على فقيد الإسلام، والبلد الحرام، وأرض الطُّهر والإيمان. ذلك الرجل الذي امتدت معرفتي به لأكثر من ربع قرن من الزمن كان يبهرك بذلك الخلق الإسلامي الرَّفيع، ولمَّا عرفته عن قرب كان بإمكاني أن أردَّ تلك السِّمات الكريمة إلى منابعها الأولى، فهو خرِّيج الجامعة الكبرى «المسجد الحرام» أساتذته فيه، محمد العربي التِّباني، والسَّيد علوي بن عباس المالكي والسيد محمد بن أمين كتبي- رحمهم الله جميعاً- وهؤلاء قوم جمع الله لهم بين التمكن في العلم والرِّفعة في الخلق، والقرب من قلوب من يجالسونهم من طلاب العلم والمعرفة، ولقد ورث فقيدنا من هذه الصفوة الزهد في متاع الدنيا، والتعلق بعالم الخلود ومتاعه، بل ان نفسه كانت تمتح من ذلك العالم أسرار الطهر والصَّفاء الذي كان يتبدَّى في أسارير وجهه المضيء، ونقاء داخله الذي كان يدفع ما استطاع- بالعبادة والصَّبر- كل ما يمكن أن يدخل في دائرة الظُّهور الدنيوي الذي لا يليق بأهل العلم والفضل من أمثاله.

وفي الحرم نشأ «أحمد محمد جمال» يقرأ القرآن ويحفظه ويتدبره فكان هذا الارتباط بكتاب الله طريقاً لدخوله إلى عالم الكتابة الإسلامية، فأصدر سلسلة «القرآن كتابٌ أحكمت آياته» «ومأدبة الله في الأرض»،

ولقد نـاقش في الكتاب الأول بعض آراء المفسريـن ولكن بأسلـوب العالم الذي لا يبخس الآخـرين حقوقهم ولا ينتقـص من أقدارهم وليتنـا نتعلم من هؤلاء القوم كيف يتقبلون الـرأي الآخر، ولا يضيقون بمبدأ الاختلاف لأنهم يعلمون أنه دليل على ثراء علوم الشريعة واتساع آفاقها وقدرتها على الوفاء باحتياجات المكان والزَّمان ومـن هنا كان الإسلام هو الدين الخاتم والدَّعوة الشاملة المتمثلة في خطاب الله- عـزَّ وجلَّ لنبيه سيدنا محمد ﷺ **﴿وما أرسلنـاك إلاَّ رحمةً للعالمين﴾** ، ولقد قـادت مفاهيم القرآن الـواسعة فقيـدنـا إلى أن يطرق أبـوابـاً أخـرى للتـأليـف العلمي في مجال الكتـابـة الإسلاميـة مثل «التربيـة الإسلامية وقضـايا المرأة» ، وكـان كتابـه المعروف «مكانـك تحمدي» صرخـة تحذير للمـرأة المسلمة مـن أن تنساق خلـف الـدَّعوات الكـاذبـة باسـم الحرية التـي انقلبـت بسببها طبيعـة المرأة في الغـرب ، واليوم تتعـالى الصَّيحـات في تلـك المجتمعات بعـودة المرأة إلى فطرتها ومكانها الطبيعـي ولكن الزِّمام أفلت والضوابـط تحللت ، ولم يبق للمرأة هنـاك إلاَّ دموعهـا وحسرتها ، ولم يكن الأستـاذ -جمال- رحمه الله- بتحذيـره للمرأة يسعى لسلبهـا حقوقها التي وهبهـا الله إياها مـن تعليم ورعايـة واحترام ، وكنت قـد ذكرت في ندوة علميـة بنادي مكـة الثقافي ، «أنَّ العالم أحمد جمال لم يكـن عدواً للمـرأة ، فالمرأة في بيتـه أختٌ وزوجـةٌ وبنتٌ متعلمـة مثقفة» ولكن مـا كتبه عنها كـان من باب الشفقـة عليها والحرص من أن تستغـل عاطفتهـا فيما تكون نتائجـه سيئة وآثـاره مخيفة ، ولقد حدَّثني -رحمه الله- قائلاً ذات يوم «يسألـونني هل أشاهد المصارعة في التلفاز نعم أشاهـدها وأشاهد بعض المسلسلات التلفزيـونية المناسبة وكما تشاهد فالتلفزيون في غرفة جلوسي ، ولعلي لا أبيح سرّاً إذا ماقلت أنَّ

«أحمد جمال» لم يكن متشدداً - أبداً- فهو يستمتع بالفنون مادامت ترتقي بالمشاعر وتسمو بالأحاسيس فلقد ذكر لي أنه كان يحب سماع قصيدتي «نهج البردة» و«حديث الروح» وذلك ليس بغريب على عالم مثله، تفتَّحت مداركه على قول الشعر وسماعه، وإنني أجزم قائلاً بأنه لو استمر أحمد جمال في قول الشعر لكان من روّاده القلائل في بلادنا، ولعلَّ الزميل الدكتور جميل مغربي يخرج لنا بحثه عن شاعرية الأستاذ -جمال - فنزداد معرفة بهذه الموهبة الفنية التي كانت تنطوي عليها شخصية فقيدنا، وما أكثر المواهب التي أنعم الله بها على هذا الرجل الذي كان يؤلف لطلبة العلم ليلاً، ويعلمهم نهاراً في رحاب جامعتي أم القرى والملك عبدالعزيز، ثم يلتفت إلى واجب آخر استنفد منه الكثير من الجهد والطاقة، وهو واجب الكتابة الصحافية التي كان مبرزاً فيها «فعموده» في حراء أولاً وفي الندوة ثانية ثم في المدينة والشرق الأوسط، كان مقروءاً من جميع الناس على مختلف طبقاتهم ومشاربهم وكان- رحمه الله- يقول في سطور ما يعجز الآخرون عن قوله في صفحات، وكان في كتاباته الصحافية صاحب أسلوب مشرق ومؤثر في الوقت نفسه، كم كان في مناظراته مع الآخرين يلتزم بآداب الحوار العلمي وأتذكر أن حواراً دار بينه وبين الأستاذ المرحوم «أحمد قنديل» على صفحات جريدة «عكاظ» حول كتاب «الأغاني» وكان الأستاذ جمال يرى أنَّ كتاب الأغاني أساء للتراث الإسلامي والعربي لأنَّ أبا الفرج كتبه بعقلية الأديب والفنان الذي كثيراً مايجنح به الخيال ويشتط به القول، ولهذا كان اعتماد بعض الأدباء عليه في العصر الحديث من حيث النواحي التاريخية أمراً غير محمود، لعدم تثبته من الرِّواية التاريخية إضافة إلى الشك الذي يحيط بشخصية أبي الفرج نفسه، واحتياط العلماء بسبب ذلك عند اعتماد روايته عن العصور

السـابقة، ورأي الأستـاذ جمال - رحمه الله- يتفق مـع رأي الـدكتور زكـي مبارك الـذي كتبه في مجلـة «المقتطف» وضمنـه الدكتـور «جبرائيل جبـور» كتـابـه المعروف «كيـف أفهـم النقـد» الصادر عـن دار الآفـاق ببيروت، ١٤٠٣-١٩٨٣، ص ٦٧-٧٦، والذي ختمـه بنتيجة هـامة يقـول فيها «هذا، ولـو أمضينا نحصي مـا في روايات الأغـاني من التلفيـق لطال بنـا القوْل، فلتكتـف بهذا، ولنسجل مـرة ثانيـة أنَّ الأصبهاني أراد أن يكـون كتابـه معرضـاً لما تجمع بين أيـدي معاصريـه من طـريف الأقـاصيص، فليعتبره القاريء إذاً كتـاب أدب لا كتاب تاريـخ» وكان المرحـوم الأستاذ القنديل يرى أنَّ كتاب الأغاني إضـافةٌ هامة في التراث العربي، وأنَّ ماورد من رواياتٍ غير صحيحة لا يمنعنا من الإفادة منه في جوانب أخرى.

محادثته لخالد محمد خالد

● كما دار حوار بينه وبين الأستاذ خالد محمد خالد على صفحات جريدة الشرق الأوسط حول مفهوم الديمقراطية الغربية، وكان الأستاذ جمال في حواره هذا يحرص على تدوين الحقائق العلمية التي تؤيد وجهة نظره دون أن يفرض على الآخرين جملة آرائه التي يؤمن بها ويدافع عنها دفاعه عن وجوب الإفساح للرأي الآخر حتى تتضح معالم الطريق الذي يجب أن تسلكه الأمة فيما تعتقد وتمارس ومن دون هذا المسار الطبيعي لقضايا الحوار ومايترتب عليها من آثار، لن تستطيع الأمة مواصلة مسيرتها الحضارية والفكرية، التي كانت نقطة بدايتها وحياً منزلاً يحث على العلم والمعرفة، وصدق الله القائل ﴿**اقرأ باسم ربّك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربّك الأكرم الذي علَّم بالقلم * علَّم الإنسان مالم يعلم**﴾ (سورة العلق الآيات : ١-٥).

ورحم الله الشيخ العالم الجليل أحمد محمد جمال وأجزل له الثواب على ماقدم لوطنه وأمته وللغة العربية.

العناية بتفسير آي القرآن الكريم

بقلم الأستاذ الدكتور
حسن ضياء الدين عتر



الفصل السادس:

التمهيد :

- العناية بتفسير القرآن العظيم .

أولاً : القصص القرآني

- أسباب النزول ركن أساسي في التفسير.
- قصة شاس اليهودي . . مفرق الشمل .
- وآخرون سفهاء وبخلاء وجبناء .
- مزايا اسلوب المؤلف في «القصص الرمزي في القرآن .
- أهمية علوم القرآن العظيم في التفسير.

ثانياً: النسخ في القرآن الكريم:

ثالثاً: التفسير والمفسرون

رابعاً: نظام الحكم في القرآن

- جهره بالحق في وجه الطغاة .

خامساً: الشورى في القرآن

- منهج المؤلف في تفسيره للآيات القرآنية .
- ثبت المراجع .

العناية بتفسير القرآن العظيم

انداحت دائرة الدعوة إلى الله تعالى بأسلوب مباشر وغير مباشر حتى عمَّ هديُ الله أرجاء الجزيرة العربية . ثم شعَّت أنوارها في أرجاء العالم، يحمل مشاعلها رجال أبرار، منهم من عرفت أسماؤهم وآثارهم ومنهم من لم نعرف أسماءهم أو أعمالهم ومنجزاتهم في الدعوة الخالصة الهادية إلى الله تعالى . فهناك كتائب من القادة الهداة الدعاة تترى عبر التاريخ، نشر الله بهم دينه وهدي بهم عباده، معظمهم لا نعرف أسماءهم فهم جنود مجهولون بالنسبة إلينا، لكنهم معروفون تمام المعرفة لدى بارئهم خالق السماوات والأرض؛ مالك الدنيا والآخرة . ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً**﴾[1] .

أولئك الأعلام الأبرار وكتائب الدعاة إلى الله من الأعلام المشهورين والهداة العاملين والمقاتلين في سبيل الله كلهم جاهدوا في سبيل الله والدعوة إلى الله، حتى عم نور الإيمان بالله وبمحمد رسول الله مشارق الأرض ومغاربها من جبال الصين إلى حدود فرنسا غرباً . ودكوا أعظم امبراطوريتين أذلتا شعوب العالم أحقاباً وقروناً . ودخل الناس في دين الله أفواجاً أفواجاً، وهيمن حكم الإسلام على العالم كله بعزِّ عزيزٍ أو بذل ذليل، في أقلَّ من قرن واحد من الزمان، بدون طائرات ولا صواريخ

---

(١) سورة الاحزاب : آية ٢٣ .

عابرات للقارات ولا قنابل نووية مدمرات ساحقات للعالم ماحقات. ولكنهم قرعوا أبواب البلاد وفتح الله بصدقهم في تبليغ القرآن العظيم قلوب العباد، على الرغم من قلة عدد جنودهم وبساطة عتادهم.

ترجم علماؤنا الأبرار خلال القرون الماضية لكثيرين، ولكن الغالبية العظمى لم يدون عنهم وعن مآثرهم العظيمة شيء. غير أنا عرفناهم من آثارهم في امتداد الدعوة الإسلامية وانتشار الإسلام وثبات أهله على الأعتصام به، وخاصة في القرون الأخيرة التي اشتدت فيها الظلمات وتفاقمت الفتن ﴿**ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور**﴾[1].

وعلى الرغم من هذا فقد استمرت باصرار بليغ جماهير المسلمين على الاعتصام بحبل الله، يقودهم علماؤهم وفضلاؤهم بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله. وإن التعليم الإسلامي في عصرنا الحاضر هو جهاد في سبيل الله. وكلمة الحق جهاد في سبيل الله. فالتعليم والإعلام الإسلامي هو الخطُّ الدفاعي الأخير- وليس الأول- عن حياض الإسلام. فإذا انهار خطُّ التعليم الإسلامي فقد انهار كل شيء، لا قدر الله.

ولا غرو! فإن الرسول ﷺ وصحبه الأبرار الأوائل أقاموا على جهاد الدعوة إلى الله في سبيل الله ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة قبل الهجرة، وفيهم نزل قول الحق تباركت أسماؤه وتعالت صفاته:

﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**﴾[2].

أضحى واجباً علينا أن نُعرف الأجيال الإسلامية بجهود علمائنا والدعاة فينا اعترافاً بفضلهم وحضاً للمسلمين على الاغتراف من معينهم

---

(١) سورة النور الآية ٤٠.

(٢) الآية مكية في سورة مكية، سورة العنكبوت آية: ٦٩.

وتخلقاً بأخلاق العلماء الفضلاء . «إنما يعرف الفضل ذووه» .

وقد سرني طلب رابطة العالم الإسلامي - قسم الثقافة والاعلام الإسلامي - أن أساهم بكتابة فصل عن العناية بتفسير القرآن العظيم في مؤلفات ومقالات الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال رحمه الله وأكرم مثواه .

اعتنى الأستاذ الداعية بتفسير القرآن بأسلوبين :

أولهما : الأسلوب المباشر ، وتدل عليه عناوين الكتب والمقالات ذاتها .

ثانيهما : بأسلوب غير مباشر ، وذلك خلال أبحاثه لموضوعات متنوعة اجتماعية وتوجيهية هادفة .

وسأعرض لأسلوبه في التفسير بدراسة موضوعات ونماذج معينة ؛ ضمن الحدود المتاحة لي ؛ ووفقاً للظرف الخاص بالنشر . وبالله التوفيق .

أولاً : القصص القرآني :

أفرد الأستاذ الداعية له كتاباً مستقلاً بعنوان : (القصص الرمزي في القرآن)، ولعل خيالك يجمح فيدفعك إلى التساؤل : هل قصد الأستاذ الداعية أن في القرآن قصصاً رمزياً بالاطلاق المعهود في عصرنا للقصص الرمزي والشعر الرمزي، إذ يسمع أحدنا الشاعر- مثلاً- يقول : أنا وحبيبتي نصف برتقالة!!؟ فتقول له : إذن أين طاح النصف الآخر!!؟؟

ويأخذ المؤلف رحمه الله عليك أو على بعض القراء سوءَ الظن، فيجيب في ختام تقديمه لكتابه بقوله : «وقد اخترت للكتاب اسم «القصص الرمزي في القرآن» بديلاً عن الاسم الأول «ماوراء الآيات» لمناسبته للموضوعات أو القضايا التي ترمز لها الآيات ولا تفصح عنها»[1].

لكنه فصَّل مراده من كتابه تفصيلاً في مطلع تقديمه، إذ يفيدك بتقريره ضمناً أن قصص القرآن قصص حقيقي واقعي. ويعلن صراحة أنه نوعان :

أولاً : قصص نزل به القرآن، وذكر أحداثه الحقيقية وله أهداف عظيمة. قال الله عز وجل ﴿**وكلاً نقصُّ عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين**﴾[2].

ثانياً : قصص نزل من أجله القرآن، فلم يذكر أحداثه ووقائعه

---

(١) القصص الرمزي في القرآن : ١١.

(٢) سورة هود : ١٢٠.

ومشكلاته، إنما ذكَّر بها تذكيراً، بأن أشار إليها أو رمز لها برمز جلي لا لبس في مراده منها وهي التي جاء القرآن العظيم ليعطي فيها العبرة والموعظة أو الحكم أو الحل، أو يكشف سر أصحابها من براءة أو خيانة، وصدق أو كذب، ووفاء أو عذر. وهو ماسمَّاه المتحدثون القدامى عن علوم القرآن باسم: (أسباب النزول)»[1].

ثم نقل عن الامام جلال السيوطي جملة من أقوال العلماء الأعلام المتقدمين عن أهمية أسباب النزول في فهم كتاب الله تعالى ومعرفة تفسيره، ومنها: قول الجعبري: «إن نزول القرآن كان على قسمين: الأول نزل ابتداء، والثاني نزل عقب واقعة أو سؤال».

وقول الواحدي: لا يمكن تفسيره معنى الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها[2].

وتتبين لك أهمية أسباب نزول القرآن في التوصل إلى تفسيره وإدراك مراد الله تعالى منه بالنظر في أمثلة عدة سردها الإمام السيوطي واختار المؤلف رحمه الله أن ينقل بعضها. ومنها قصة استشكال مروان بن الحكم، وقد توسع المؤلف رحمه الله قليلاً في تبيانها باعتماده على تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى وعزوه إليه[3].

روى الامام أحمد أن حميد بن عبدالرحمن بن عوف أخبره أن مروان -بن الحكم- قال: اذهب يارافع؛ لبوابه؛ إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرىء منا فرح بما أتى، وأحب أن يُحمِد بما لم يفعل. معذباً،

---

(١) القصص الرمزي في القرآن- أحمد محمد جمال ص ٥-٦.
(٢) القصص الرمزي في القرآن: ٦.
(٣) القصص الرمزي في القرآن: ٦ و٧.

لنُعذَّبــنَّ أجمعون؟ فقال ابــن عباس : ومالكــم وهذه؟ إنما نزلــت هذه في أهل الكتــاب ، ثم تــلا ابن عبــاس : **﴿وإذْ أخذ الله ميثــاق الذيــن أوتوا الكتاب لتبيننــهُ للناس ولا تكتمونه فنبــذوه وراء ظهورهم واشتروا بــه ثمناً قليلاً فبئس مايشترون﴾**[1] وتلا ابن عباس : **﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتــوا ويحبون أن يحمــدوا بما لم يفعلــوا﴾**[2] الآيــة . وقال ابــن عبــاس : ســألهم النبي ﷺ عــن شيء ، فكتموه إيــاه وأخبروه بغيره ، فخــرجوا وقــد أروه أن قد أخبروه بما ســألهم عنه ، واستحمــدوا بذلــك إليه ، وفــرحوا بما أوتوا من كتمانهم إياه ماسألهم عنه»[3] .

وقال الامام عماد الديــن بن كثير: وهكذا رواه البخاري في التفسير، ومسلم ، والترمذي والنسائي في تفسيرهما ، وابن أبي حــاتم ، وابن جرير، وابن مردوية والحاكم في مستدركه)[4] .

ثم تحدث المؤلف الفاضل رحمه الله تعــالى قليلاً عن قواعد العلماء في أسباب النــزول مبيناً بإسهــاب أنه قد يتعــدد السبب والنازل واحــد ، وقد يتعــدد النــازل والسبــــب واحــد أو متشــابــهٌ في مضمـــونــه ، وإن تكــرر حدوثه[5] .

ولا شــك أن الاهتمام بـــأسبــاب النـــزول هــو اهتمام بتفسير القـــرآن العظيــم . إذ لا يجوز عند أحــد مــن أئمة العلــم المتقــدمين أو المتــأخريــن

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٨٧ .
(٢) سورة آل عمران : آية ١٨٨ .
(٣) المسند . للامام أحمد بن حنبل : ١/ ٢٩٨ ، ت المكتب الإسلامي . بيروت .
(٤) انظر صحيح البخاري : ٦/ ٥١ . ومسلم ، منافقين : ٨ ، وتحفة الأحوذي ، كتاب التفسير، ٨/ ٣٦٥ . وانظر تفسير ابن كثير: ٢/ ١٥٧ ١٥٨ . ط . دار الشعب - القاهرة .
(٥) التقصص الرمزي في القرآن : ٩ و١٠ .

إغفال سبب النـزول في تفسير آية واحدة من القرآن، نزلـت إثر حادث أو إشكـال معين، توضـح هدي الله فيـه. فسمى العلماء ذلـك الحدث أو الاشكال: سبـب النزول. أضـف إلى ذلك أن المؤلف عـوَّل أثناء عـرضه تلـك الأحـداث أو القصـص على أقوال وأفهـام أئمـة التفسير وأشـار إلى كتبهم في ذلك.

وألقِ نظـرة عابـرة على تخطيط كتاب «القصـص الرمـزي في القرآن» تجده يسرد على القارىء- في الفصـل الأول- عدداً مـن قصص النسـاء. ثـم تجد في الفصل الثـاني عدداً من قصص المؤمنين، وفي الثـالـث قصصاً لليهود والمنافقين، وفي الرابع قصصاً متنوعة.

وتجدُ قصـة (يهودي متهـم . . . يبرئه القـرآن) ص٧٤، وقصـة (شاس اليهودي . . مفرِّق الشمل) ص٩٤.

وإنما عرضهما المؤلـف رحمه الله تعالى في الفصـل الثاني لأن الجانـب الهام فيهما رفعُ الإشكـال من بين المؤمنين أي الصحابـة أنفسهم رضي الله عنهـم. وإليك عـرضاً مـوجزاً للقصـة الثـانية منهما لتظهـر لك جهـوده وتوجيهاته وعنـايته بتفسير القرآن العظيم وبأسباب النـزول خاصة في هذا الكتاب القيم الممتع.

شاس اليهودي.. مفرق الشمل

قـدَّم المؤلـف كلمـة لطيفـة عن الحسـد والحقـد مـع تحليـل نفسي لأصحابهما وتبيـان آثارهما الاجتماعيـة، بعد سرده للنـص القرآني الكـريم (الآيات ١٠٠-١٠٣ آل عمران).

ثم استهل القصـة- التي تشيرإليها الآيات- مـن أولها، منذ التقى نفر من الأوس والخزرج بـالرسول ﷺ في مكة المكرمة أيـام الحج، وبايعوه على الإسلام. وائتلفت كلمتهـم عليه وتوحدت صفوفهم فكـانت خاتمة لحروب كان آخـرها يوم بعـاث التي دامـت بين هذين الفـريقين عشرين ومائة عام، مع أنهم أبناء أخوين من أب وأم.

وصفتْ نفـوس الأوس والخزرج عند هجرة الـرسول الكريـم إليهم وألَّـفَ الله بين قلـوبهم على طـاعتـه وعلى الإخـاء والتعـاون والإيثـار مـع المسلمين عامة.[1]

ثـم يعـرض المؤلـف رحمه الله قصـة شـاس الخبيـث المفـرق لكـن بأسلوب تحليلي سلس جذاب فيقول:

«وهنا تبدأ قصـة «شاس بن قيس» أحد يهود بني قينقـاع وهو شيخ ضليل كفـور، شديـد الضغن والطعـن على المسلمين- مر (شـاس) هذا على رهط مـن الأوس والخزرج يتحدثون في مجلـس لهم، على صفو وبشر ومودة، فغـاظه مارأى منهـم، وود لـو رجعوا كفاراً يضرب بعضهـم رقاب بعض.

(١) القصص الرمزي في القرآن: ٩٤-٩٥.

واستيسر له ما أراد، إذْ وجد فتى يهودياً إلى جانبه، فهمس في أذنه بتعابير الحقد والحسد المشتعلين في صدره: (لقد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد... والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار).

ثم أوحى إليه أن يجلس إليهم، ويذكرهم بيوم بعاث - وهي آخر حروبهم، وقد كان الظفر فيها للأوس على الخزرج - وماكان قبله من أيام الأرض والعداوات وينشدهم ماتقاولوا فيها من أشعار المفاخرة والمباهاة..

واستجاب شيطان فتى لشيطان شيخ، فجلس الشاب اليهودي إلى جماعة الأنصار يجدد ضغائنهم القديمة ويحيي تراثهم الميتة، يبتغي بذلك أن يُحل رباطاً أوثقه الإسلام بينهم، ويهدم بنياناً رصه لهم، فكان له باديء الرأي ما أراد، ولله سبحانه وتعالى في ذلك حكمة امتحان وتبيان...

لقد ثارت ثائرة من الفريقين وجعل بعض من هؤلاء يفاخر وينافر بعضاً من أولئك، ويدعي بدعوى الجاهلية الأولى، وبلغ الحماس بأحدهم مبلغاً نسي فيه حاضره وانتقل إلى ماضيه الأسود، فاندفع يقول لصاحبه: (إن شئتم رددناها جذعة) حتى تغاضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا، وتنادوا بالسلاح، وتواعدوا اللقاء في الحرة - ظاهر المدينة - ليستقبلوا ما استدبروا من عداوات وحروب»[1].

ثم يزجي بتحليل نفسي لضيق وقع الخبر على نفس الرسول الكريم ﷺ ومسارعته لتدارك الأمر وفاعلية موقفه وروعة خطابه، ثم يجلي لك

---

(١) القصص الرمزي في القرآن: ٩٦، وانظر - للتوسع - روايات القصة وتفسير الآيات في تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٢/ ٧١-٧٤. وجامع أحكام القرآن، للقرطبي: ٤/ ١٥٥-١٦٥.

الآثار النفسية في الصحب الكرام، ويريك بالمقارنة اللطيفة بين صباح ذلك اليوم ومسائه عظمة الآثار الإيمانية والتوجيهات النبوية. تأمل كلام المؤلف رحمه الله:

«وشدَّ ماكانت دهشةُ النبي ﷺ حينما بلغه نبأ تنازع الأوس والخزرج ونفورهم إلى الحرة، متصالحين بالحرب بينهم، حتى إذا أسرع إليهم في نفر من المهاجرين عجب من أمرهم أي عجب وانطلق يخطب فيهم:

(يامعشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ أبعد أن أكرمكم الله بالإسلام وألَّف به بين قلوبكم، واستنقذكم من النار ترجعون إلى ماكنتم عليه كفاراً»!؟

وحقاً كان القوم في سكرة من نزعة الشيطان وكيد العدو، فأفاقوا على صوت النبي الرؤوف الرحيم يُذكرهم هدايتهم بعد الضلال، وائتلافهم بعد الفرقة، وينذرهم النكسة إلى الكفر بعد الإيمان، والتردي في النار بعد الجنة...

وكان كلامه عليه الصلاة والسلام برداً وسلاماً، انطفأت به نار الفتنة بين قوم تربطهم لحمة نسب ووشيجة دين، فانقلبوا نادمين باكين، وأقبل بعضهم على بعض يتعانقون ويعتذرون. ثم انصرفوا مع النبي إلى المدينة أقوى مما كانوا رابطة إخاء، وشعور إيثار- وصدق من قال (لم يكن يوم أقبحَ أولاً وأحسنَ آخر من ذلك اليوم).

وقد نزل فيه القرآن الكريم بآيات بليغات:

﴿ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين. وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم

رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم . ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ (آل عمران ١٠٠-١٠٣) .

ثم يقدم- كداعية- تحليلاً نفسياً لطبائع اليهود التي تطبعوا عليها ، نتيجة لضلالهم الاعتقادي ؛ بأنهم (شعب الله المختار) وهم يعتقدون- كما نعلم- أن الأمم الأخرى (الجويم) مجموعات من البهائم والحيوانات خلقها (إله بني إسرائيل) لتمشي على رجلين لتقدم لشعبه المختار خدمات لا تقدر عليها الحيوانات الأخرى . لكن هذه الأمم أو البهائم عدت على أرض الشعب المختار وتحكمت في معظم بلاد العالم الذي خلقه إله بني إسرائيل خصيصاً لشعبه المختار. . . إلى آخر مانص عليه كتابهم (التلمود) وهو عندهم أكثر من التوراة ذاتها . وبهذا المنطق الاعتقادي الخرافي الأخرق الرهيب يستبيح اليهود لأنفسهم اقتراف كل أنواع الجرائم والخيانة والمكر والغدر واللؤم والظلم في حق الأمم والشعوب الإنسانية[١] .

ومن ذلك اعتمادهم نهج التفريق والوقيعة بين الناس . وعليه الآن سياسة أعداء الإسلام في عالم الكفر . ودستورهم في هذا : (فرق تَسُدْ) . لذا تجد المؤلف في هذا الشوط الرائع يحذر المسلمين من الولاء للكافرين . تأمل أسلوبه في هذا كله إذ قال رحمه الله :

---

(١) القصص الرمزي في القرآن ٩٦-٩٧ .

«كان ذلك دأب اليهود، التفريق بين المسلمين حقداً وحسداً، وقصداً إلى انفرادهم بملك الأرض وسلطان الدنيا بزعم أنهم شعب الله المختار، وهم الذين ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا بغضب منه، لما امتازوا به من (تقلب أخلاقي) لم تستقم لهم معه دنيا ولا استقر لهم دين . . .

ولايزال دأبهم حتى اليوم، ودأب غيرهم من أعداء الإسلام غربيين كانوا أم شرقيين، فإن الكفر ملة واحدة- كما يقال- وشعورهم جميعاً هو كراهية هذه الأمة الإسلامية التي تملك مقاليد أعظم حضارة وثقافة، وسبب الخوف هو أن تسترشد أو تستأسد، فتكشف ضلالاتهم وجهالاتهم الأولى، وتحكمهم وتعلمهم كما كانت من قبل . . .

ولكن أكثر المسلمين اليوم- مع الأسف- يحيون حياة تحقق أمل العدو، حياة البطالة والجهالة، حياة الرضا لسلطانه عليهم، بل السعي إلى موالاته ومحاباته.

وقد نسوا أن الله سبحانه وتعالى قد أنذرهم في القرآن الكريم: بهذا النذير الدائم الحاسم: ﴿**ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً**﴾[1]. فهم إذن قد جعلوا لله هذا السلطان، وأقاموا بأنفسهم حجته سبحانه عليهم، فيما أصابهم من شدائد العلة والقلة والذلة على أيدي «أوليائهم» أو (حلفائهم) من غير المسلمين»[2].

ويختم الشيخ الداعية رحمه الله مقاله هذا بمسألة يظهر منها اعتناؤه

---

(١) سورة النساء: آية ١٤٤.
(٢) القصص الرمزي في القرآن: الآيتان ٩٧-٩٨.

بتفسير الكتاب العزيز وحرصه الشديد على خدمته فينفي أن تكون الآية : ﴿**اتقوا الله حق تقاته**﴾[1] قد نسختها آية التغابن ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم . . .**﴾[2] .

فقال : «وقد أورد ابن كثير والقرطبي في تفسيريهما قول ابن عباس رضي الله عنهما : «إنها لم تنسخ وقول ابن مسعود : إن معناها أن يطاع الله فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر»[3] .

يتبين لك من هذا المقال أن الأستاذ المؤلف رحمه الله تعالى قد عني عناية فائقة بأسباب النزول ثم بتفسير الآيات وأنها محكمة وليست منسوخة فرجح بذلك مارجحه جمهور المفسرين .

وسنعرض لتفصيل هذه المسألة فيما بعد بإذن الله تعالى .

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٠١ .

(٢) سورة التغابن : آية ١٦ .

(٣) القصص الرمزي في القرآن : ٩٨ ، وانظر أقوال العلماء وتبيان الراجح منها في تفسير ابن كثير: ٢/ ٧٢ والجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ٤/ ١٥٧ و١٨/ ١٤٤ ، وروح المعاني ، للألوسي : ٤/ ١٧ .

وآخرون .. سفهاء وبخلاء وجبناء:

أورد المؤلف أربع قصص تحت هذا العنوان، في الفصل الثالث من كتابه (القصص الرمزي في القرآن) ونتحدث عن الثالثة منها، قصة «الجد بن قيس» سيد بني سلمة في الجاهلية. فقد أشار المؤلف رحمه الله في تقديمها إلى نفاقه وولوعه بالتشبيب وبالغرم الحرام. ثم قال:

(وقد كان سيداً لقومه. على غير شجاعة وجود، بشهادة قومه حين سألهم النبي ﷺ: من سيدكم يابني سلمة؟ فقالوا: الجد بن قيس، غير أنه رجل بخيل جبان!! فقال عليه الصلاة والسلام: - وصدق- «**وأي داء!! أدواء من البخل؟؟ إنما سيدكم الفتى الجعد الأبيض بشير بن البراء بن معرور**»)[1].

واستفحل خطر الروم على حدود الدولة الإسلامية من الشمال، فتجهز الرسول ﷺ لغزوهم ودعا الصحابة لذلك معلناً هذه المرة عن الجهة وأنها تبوك، نظراً لبعدها ليستعدوا لذلك. ولم يعلن عن الجهة من قبل. فسارع الصحابة للجهاز استجابة لأمر رسول الله ﷺ[2] فكيف جاءت استجابة «الجد بن قيس؟؟». قال المؤلف رحمه الله:

«ولكن الجد لما كان جباناً بخيلاً جاء جوابه للنبي عليه الصلاة

---

(١) القصص الرمزي في القرآن: ١٦٥. وحديث الرسول: «من سيدكم يابني سلمة... ولكن سيدكم الفتى...» عزاه الامام ابن كثير إلى صحيح البخاري. انظر للتوسع- الروايات وتفسير الآيات في تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٤/ ١٠١-١٠٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٨/ ١٥٨-١٦٠. وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ١٤/ ٢٨٦-٢٩١.

(٢) سيرة النبي ﷺ، عبدالملك بن هشام: ٤/ ١٢٩. ط القاهرة ١٣٨٤هـ.

والسلام، نضحاً من نجله وجبنه فقد قال: «لقد عرف قومي مارجل أشد عجباً بالنساء مني، وأني أخشى إن رأيت نساء بين الأصفر ألاّ أصبر عنهن فأفتن بهن»!! ثم ذهب الجد يحدث نفسه- كأي منافق- بهزيمة المسلمين في هذه الغزوة، ويمنّيها بهذه الهزيمة، ويعدها بالويل والحزن إن أصابهم ظفر على الروم!!

وماكاد النبي ﷺ يعرض عن الجد، حتى أقبل جبريل عليه السلام بآية من القرآن الكريم يفضح بها الجد وأمثاله من الجبناء البخلاء:

﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين، إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون. قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[1] (سورة التوبة: ٤٩-٥١).

ثم أرسل المؤلف توجيهه للقصة إذ لم يكن سرده إلاّ توجيهاً تربوياً إسلامياً هادفاً. قال رحمه الله:

«ونتعلم من القصة الثالثة: أن المؤمن الحق لا يعتذر عن عمل من عزائم الإيمان وموجبات الرضوان، إلا الشدائد والعظائم من المعاذير، ولا كالمنافق الذي يلتمس المعاذير الواهية- وهي بيوت العنكبوت- ليفر من جلائل الأعمال إلى خبائثها وصغارها.

أجل إن المؤمن فعّال، وقوّال، يقول مايفعل، ويفعل مايقول، ويرتفع بما يقول ومايفعل عن سفاسف الأمور إلى معاليها»[1].

(١) القصص الرمزي في القرآن: ١٦٥-١٦٦.
(٢) القصص الرمزي في القرآن: ١٦٧.

مزايا أسلوب المؤلف في «القصص الرمزي في القرآن»:

أولاً : سبك القصص بأسلوب أدبي رفيع . فيه السلاسة والوضوح والجمال الأدبي الفني الأخاذ .

ثانياً : لم يلتزم سردها بألفاظها التي وردت بها في رواياتها . لكنه لم يغير في أحداث القصة ووقائعها شيئاً ، فخالف بهذا كثيراً من كتاب القصة الإسلامية المعاصرين . فإنه حافظ على صحتها كما وردت وعلى سلامتها من التغيير والزيادة والنقصان ، رعاية لكونها حقائق لا يجوز التصرف فيها ، إنما يجوز روايتها بمعانيها .

ثالثاً : ينقلك من قراءة القصة رواية تاريخية - بتحليله وتعليله ومقارنته حتى تعايش أحداث الحياة في الظروف الماضية معايشة واقعية ووجدانية إيمانية . فتشهد أحداث القصة كما تشهد آثارها النفسية في القوم وفي ظروف حياتهم الإنسانية الإسلامية الصاعدة الراقية .

رابعاً : يثير في القصة عنصر التشوق ويبرز الحبكة القصصية بأسلوب فني رفيع بارع حقاً وجذاب جداً .

خامساً : يجلّي لك أسلوبه ؛ رحمه الله - من خلال التحليل والتعليل والمقارنة - التوجيهات والارشادات الحصيفة والعبر والعظات البليغة من كل قصة قرآنية يسردها عليك .

فإذا أمعنت النظر وجدت نفسك أمام أسلوب ليس أسلوباً قصصياً - فحسب ، ولكنه أسلوب أدبي توجيهي هادف ، له فاعلية تؤثر

في قلوب السامعين والقراء، وتأخذ بتلابيب قلوبهم ومجامع أفئدتهم وتستحوذ على اهتمامهم وتفتح مغاليق أفكارهم، وتستثير حميتهم وحماستهم وعواطفهم بالتوجيه الرفيع الذي تخلل عرض القصة.

سادساً: وبهذه الطريقة الحصيفة المرهفة، عرف القاريء القصة والعظات التي تفيض بها، كما عرف تفسير الآيات النازلة بصددها، فتسللت المعاني إلى فكره؛ والتوجيهات والنفحات الإيمانية إلى فؤاده وضميره وحفزت همته لما ينبغي كمسلم تجاه المواقف التي عرضت الآيات لقصتها رمزاً وتوجيهاً وعظاً بليغاً وإرشاداً لطيفاً. وهذا أسلوب رفيع في الدعوة إلى الله بتفسير القرآن العظيم كتاب الله تعالى ﴿**والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾[1].

---

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

أهمية علوم القرآن العظيم في التفسير

لا يخفى على كل مثقف مسلم أن معرفة علوم القرآن العظيم شرط أساسي من شروط التصدي لتفسير القرآن. ومنها أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ. وقد ظهرت عناية الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال- رحمة الله عليه- بعلوم القرآن العظيم في كتاباته بأسلوب مباشر وغير مباشر.

وظهر كتابه (القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته). الطبعة الرابعة[1] منه في سفرين أنيقين زاهيين فخمين. إذ قدم في الجزء الأول نقداً لسبعة عشر كتاباً، عقد لكل منها فصلاً خاصاً به.

وأبرز فصول هذا الجزء من الكتاب:

الأول: نقد كتاب (الناسخ والمنسوخ في القرآن) للامام محمد بن علي بن حزم (ص١١).

الثاني: نقد كتاب (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) للشيخ محمد أمين الشنقيطي (ص ٧٧-١١٨).

الخامس: نقد كتاب (الفن القصصي في القرآن) للدكتور محمد أحمد خلف الله (ص١٧٣-٢٣٨).

السادس: نقد كتاب (القرآن: محاولة لفهم عصري) للدكتور

---

(١) وقد صدرت الطبعة الأولى في جزئين لطيفين ضمن سلسلة دعوة الحق- رابطة العالم الإسلامي.

مصطفى محمود (ص٢٣٩-٢٧٨). . .

الثامن: نقد كتاب (المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن) للمستشرق اليهودي جولد تسيهر (ص٣٠٧-٣٣٢).

الثالث عشر: نقد بحث (الأساطير في القرآن) للدكتور أحمد الحومي (ص٤١١-٤٢٦).

الرابع عشر: نقد بحث (اسلوب القرآن وأحكامه) للمستشرق جوستاف لوبون (ص٤٢٧-٤٣٤).

ثانياً : النسخ في القرآن الكريم :

أثنى الأستاذ الداعية أحمد محمـد جمال رحمه الله على كتاب (الناسخ والمنسوخ في القـرآن الكريم؛ للامـام أبي محمد على بن حـزم رحمه الله) ثم قال :

«ولكني لاحظت أن المؤلف رحمه الله أسرف في سحب حكم النسخ على كثيرمن الآيـات القرآنيـة التي تـدعو إلى مكـارم الأخلاق في معـاملة المسلمين بعضهـم مـع بعـض، أو مـع المخـالفين لهم في عقيـدتهم وشريعتهم.

لقـد حكـم المؤلـف رحمه الله بنسـخ مـائة وأربـع عشرة آيـة في ثمان وأربعين سورة»[1] . أ. هـ.

ثـم أورد المؤلـف رحمه الله نماذج مـن إسراف ابـن حـزم رحمه الله في زعمـه النسخ لكثيرمـن آيات القـرآن العظيـم. حتى جعـل آية السيـف ناسخـة لكثيرمن آيـات القرآن الكـريم وهـي قول الله عـز وجل : ﴿**فإذا انسلـخ الأشهـر الحرم فـاقتلـوا المشركين حيـث وجـدتموهـم وخـذوهـم واحصروهم واقعدوا لهم كـل مرصد فإن تابـوا وأقاموا الصلاة وآتـوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم**﴾[2].

وقد أبعد ابن حزم النجعة في مزاعمـه النسخ في هذه الآية حتى زعم

---

(١) القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته، أحمد محمد جمال: ١/ ١٣.

(٢) سورة التوبة : ٥.

أنها ناسخة لهذه الآيات الثلاث أيضاً :

الآية الأولى : ﴿**وقولوا للناس حسناً**﴾[١] .

الآية الثانية : ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم**﴾[٢]

الآية الثالثة : ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾[٣]

وجاءتك خطة الأستاذ الداعية رحمه الله في نسف مزاعم ابن حزم أن الذي عول على أقوال المفسرين كما يلي :

١- أن الآية التي زعمها ابن حزم ناسخة هي نفسها مختلف في إحكامها عند أئمة السلف المفسرين . . قال الأستاذ الداعية : «وقد نقل المفسرون أقوالاً لابن عباس رضي الله عنهما : أن هذه الآية لم يبق بعد نزولها لأحد من المشركين عهد ولا ذمة ، وللضحاك ابن مزاحم : أنها نسخت كل عقد وكل مدة بين الرسول ﷺ وبين المشركين- وقال ابن كثير: اختلف المفسرون في آية السيف فقال الضحاك والسدي هي منسوخة بقوله تعالى :

﴿**فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها**﴾[٤] .

وقال قتادة بالعكس»[٥] .

٢- ثم تناول الأستاذ الداعية رحمه الله الإجابة تفصيلاً مع كل من هذه الآيات الثلاث بمناقشة علمية متمكنة ، عول فيها على أقوال أئمة

---

(١) سورة البقرة : ٨٣ .

(٢) سورة الأنعام : ١٠٨ .

(٣) سورة الأعراف : ١٩٩ .

(٤) سورة محمد : آية ٤ .

(٥) القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته : ١/ ١٤-٢٥ .

التفسير في أمهات كتب التفسير، واستدلالهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية[1].

ثم تابع الأستاذ الداعية نقده لكتاب ابن حزم شوطاً إثر شوط فقال: «ونمضي مع المؤلف في عجائبه وغرائبه من إبطاله لكثير من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، التي تضمنتها آيات قرآنية محكمة، وقوله: إن آية السيف هي الناسخة لها!»[2].

وأتبع هذا الإجمال بتفصيل كافٍ وافٍ[3]. ثم قال: «ومن عجائب مذهب المؤلف- رحمه الله- في قوله بنسخ آيات كثيرة من القرآن الكريم حديثه عن هذه الآية: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[4]. فقد قال: إنها منسوخة بقوله عز وجل: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾[5].

والمتأمل في هذه الآية لفظاً ومعنى لا يجد منفذاً أو سبيلاً للفهم أو الزعم بأن هناك أي تعارض أو تناقض بينهما وبين الآية الأخرى..»[6].

ولا يغيب عنك أن العلماء المفسرين والفقهاء والأصوليين مجمعون على هذه القاعدة التي أشار إليها المؤلف أخيراً. فلا تقبل دعوى النسخ

(١) نفس المصدر: ١/ ١٤-٢٢.
(٢) نفس المصدر: ١/ ٢٢.
(٣) نفس المصدر: ١/ ٢٢-٣٤.
(٤) سورة البقرة: ٦٢.
(٥) سورة آل عمران: ٨٥.
(٦) القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته: ١/ ٣٤.

مع إمكان التوفيق بين الآيتين، فإن دعوى النسخ مرفوضة بداهة بل لا يصح إطلاقها أصلاً.

ويطالعك الجزء الثاني من هذا الكتاب بفصول جديدة تماماً بالنسبة إلى الجزء الأول وكأنما هو كتاب آخر.

فتجد في الفصل الأول: مفهومات قرآنية، وفي الثاني: دراسات قرآنية، وفي الثالث: قضايا قرآنية، وفي الرابع: هوامش وتعقيبات. فالجزء الثاني سفر آخر في تفسير القرآن العظيم بأسلوب مباشر جلي.

ويلتقي مع الجزء الأول في الاطار العام، وأحياناً في جانب موضوعي خاص كما في مقاله:

حول مفهوم الآية :

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾(١)

ورد استفسار من طالب جامعي إلى الأستاذ الداعية المؤلف رحمه الله عن اعتراضه على الاجتهاد القائل بأن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى :

﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ وذلك في كتابه «القصص الرمزي في القرآن» فهل لدى الأستاذ أدلة أخرى تؤيد اعتراضه وتثبت أن الآية محكمة غير منسوخة؟! .

وتبيان ذلك أن عدداً غير قليل من مفسري التابعين؛ ومنهم سعيد بن جبير؛ ذهبوا إلى أن آية آل عمران هذه منسوخة بقوله تعالى : ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم . فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾(٢) .

وقد أورد المؤلف نقولاً اقتبسها من تفسيري ابن كثير والقرطبي ، أيد بها رحمه الله دفاعه عن إحكام الآية وعدم صحة القول بنسخها .

وانقل لك أقوال الأئمة : ابن كثير والألوسي والقرطبي بتصرف يسير ولكن على نحو أوفى مما فعله المؤلف رحمه الله تثبيتاً لقول جمهور العلماء الراجح بإحكام الآية تلاوة وحكماً . وبالله التوفيق .

---

(١) القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته : ٢/ ١٦٠-١٦٢ والآية من سورة آل عمران/ ١٠٢ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير: ٢/ ٧٢ ، والآية من سورة التغابن : ١٥-١٦ .

ذكر الإمام ابن كثير الحديث الذي «رواه ابن مردوية من حديث يونس بن عبدالأعلى، عن ابن وهب، عن سفيان الثوري، عن زبيد، عن مرة، عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الله حق تقاته**»: أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى».

وكذا رواه الحاكم في مستدركه، من حديث مسعر، عن زبيد، عن مرة، عن ابن مسعود، مرفوعاً فذكره. ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. كذا قال. والأظهر أنه موقوف والله أعلم.

ثم قال ابن أبي حاتم: وروي نحوه عن مرة الحمداني، والربيع بن خُثيم، وعمرو بن ميمون، وإبراهيم النخعي، وطاووس، والحسن، وقتادة، وأبي سنان، والسُّدّي، نحو ذلك.

وقد ذهب سعيد بن جبير، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، ومقاتل بن حبان، وزيد بن أسلم، والسُّدّي وغيرهم إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: «اتقوا الله حق تقاته» قال: لم تنسخ، ولكن «حق تقاته»: أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم»[1].

وقال الألوسي: «وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم، فأنزل الله تعالى تخفيفاً على المسلمين ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾

---

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير: ٢/ ٧٢.

فنسخت الآية الأولى، ومثله عن أنس. وقتادة. وإحدى الروايتين عن ابن عباس، وروي ابن جرير من بعض الطرق عنه أنه قال: «لم تنسخ، ولكن حق تقاته أن يجاهدوا في الله حقَّ جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم. ومن قال بالنسخ جنح إلى أن المراد من حق تقاته: ما يحق له ويليق بجلاله وعظمته، وذلك غير ممكن ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾[1] أ. هـ.

وقال الامام القرطبي: «روى البخاري عن مرة عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «حق تقاته: أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يُكفر». وقال ابن عباس: هو ألا يُعصى طرفة عين.»[2].

ثم ذكر الامام القرطبي استدلال القائلين بالنسخ[3]، وأظهر ترجيحه فقال: «وقيل: إن قوله ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ تبيان هذه الآية. والمعنى: فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم، وهذا أصوب، لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع، والجمع ممكن فهو أولى»[4].

أقول: فأنت ترى الأستاذ الداعية رحمه الله تعالى قد عني بتفسير الآيات وبأسباب النزول وبأنها محكمة غير منسوخة. وقد أكدنا ما اختاره رحمه الله بالنصوص التي سردناها آنفاً. وهذا النموذج يعطيك تصوراً طيباً عن حفاوته وعنايته بتفسير القرآن العظيم. رحمه الله تعالى وأكرم مثواه.

---

(١) روح المعاني: ٤/ ١٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٤/ ١٥٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٤/ ١٥٧، وانظر فيه: ١٨/ ١٤٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٤/ ١٥٧.

ثالثاً : التفسير والمفسرون :

التزم الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال رحمه الله منهج جمهور المفسرين ودافع عنه بقوة وانتقد الأقاويل والتفسيرات السقيمة التي أصدرها بعض الكاتبين لبعض الآيات القرآنية .

وقد انتقد المؤلف تحت عنوان (حول التفسير والمفسرين)[١] مقال أحد الكتاب في مجلة «الدارة- عدد ٣ بتاريخ شوال ١٣٩٧» . جاء فيه «هذه حالة المفسرين ، فإنهم يربطون كل آية بقصة ويعتقدون أنها سبب نزول هذه الآية . . .»

فانتقد الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال هذه الزلة بقوله : «قلت : إن هذا الحكم على عامة المفسرين بأنهم يربطون كل آية بقصة . . إلخ ، غير سليم ، وغير واقعي ، فالآيات التي نزلت لأسباب من حوادث أو مخالفات أو اسئلة وجهها الصحابة أو الوافدون على الرسول ﷺ محدود ومعروفة في كتب التفسير ، وفي الكتب الخاصة بأسباب النزول وحدها . ومن ناحية أخرى هناك قاعدة عامة أو أصل معروف بين أصول علم التفسير . . . وهو : «أن العبرة بعموم اللفظ . . لا بخصوص السبب» وكافة المفسرين يخضعون لهذه القاعدة أو هذا الأصل في تفسير آيات القرآن»[٢] .

---

(١) القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته : ٢/ ٣٨٧ .
(٢) القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته : ٢/ ٣٨٧-٣٨٨ .

أقول : وأنت ترى أن الأستاذ رحمه الله قد التزم منهج أئمة التفسير في هذا الجانب وقواعد التفسير الأساسية المعتمدة ، وأبى على الكاتب المنقود أن يخرج عنها في قليل أو كثير. وسائر مقاله يؤكد لك هذا الاتجاه لديه رحمه الله وأكرم مثواه .

ولو استطلعت مناحي سائر الفصول الأربعة الواسعة في الجزء الثاني من كتابه «القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته» لوجدتها تفسيراً لآيات من الذكر الحكيم أو مباحث في علوم القرآن ومناهج التفسير أو نظرات نقدية قوية في نفس الاتجاه ، صَحح بها أخطاء الكاتبين أو قوّم بها مفاهيم مغلوطة شائعة لدى بعض المثقفين . فجزاه الله أحسن الجزاء .

وإليك بعض عناوين أبحاث الكتاب :

١ - حول مفهوم الآية : ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ .

٢ - حول مفهوم الآية : ﴿**أفرأيتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**﴾ .

٣ - حول مفهوم الآية : ﴿**إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض**﴾ .

٤ - حول مفهوم الآية : ﴿**فلا تزكوا أنفسكم**﴾ .

٥ - حول مفهوم الآية : ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ .

رابعاً : نظام الحكم في القرآن :

ملك حب القرآن العظيم شغاف قلوب أئمة العلم والدعاة الهداة على مر العصور. فحفز هممهم إلى النهوض بأعباء الدراسات العظيمة في تفسيره وقراءاته و إعرابه ووجوه إعجازه وفنون بلاغته .

ونهض الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال رحمه الله بتفسير آيات مختارة من القرآن العظيم؛ تفسيراً موجهاً هادفاً إلى إصلاح الفرد والمجتمع؛ بتبيان مقاصد القرآن و إرشاداته والمغزى الرائع البليغ في كل آية تعرض لتفسيرها . وهذه ظاهرة عامة في معظم تآليفه ، ولكنه أفرد كتابين آخرين خصصهما لتفسير آيات من القرآن الكريم وهما : (على مائدة القرآن ، دين ودولة- مأدبة الله في الأرض)[1] .

وقد عقد في الكتاب الأول خمسة فصول . وجعل مدار أبحاث كل فصل حول آية من القرآن المجيد ، وكلها تهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع ورقيهما ، كما ينبئك عن ذلك عنوان الكتاب (على مائدة القرآن- دين ودولة) .

وقد خص الفصل الخامس[2] بجانب إصلاحي للمجتمع المسلم والدولة الإسلامية فجاءك عنوانه بشطر الآية الكريمة : ﴿**وأن احكم بينهم بما أنزل الله**﴾[3] . وتشعر في نفسك بجاذبية خاصة عندما تطالعك

---

(١) أعني بالإضافة إلى كتابيه : (القصص الرمزي في القرآن- القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته) وسبق لي الكلام عنهما حسب المقام .

(٢) على مائدة القرآن ، دين ودولة : ٢٥١ . الطبعة الرابعة . سنة ١٤٠٥ ط . دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٣) سورة المائدة : آية ٤٩ .

في هذا الفصل موضوعاته التالية :

- المجتمع الإسلامي : حكومة وشعباً في القرآن .
- الحاكمية الإسلامية : عدالة وشورى .
- وحدة المحكومين وحريتهم .
- قواعد الأمن العام في المجتمع الإسلامي .
- العدالة الإجتماعية والاقتصادية كما يقررها القرآن .
- عسكرية الإسلام : دعوة ودفاع .
- الأجانب في دولة الإسلام : رعاية وحذر .

ثم ذكر المؤلف عدة آيات يفسربها جوانب من الآية الكريمة التي جعلها عنواناً للبحث نذكر منها :

﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾[1] .

﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر﴾[2]

﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ، وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾[3]

﴿اخلفني في قومي وأصلح ولاتتبع سبيل المفسدين﴾[4]

﴿وما أنت عليهم بجبار﴾[5]

﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾[6]

عدّ القرآن من الحاكمية المفسدة أن يفرق الحاكم رعاياه شيعاً بما

---

(١) سورة النور : ٥٥ .
(٢) سورة الحج : ٤١ .
(٣) سورة الأنبياء : ٧٣
(٤) سورة الأعراف : ١٤٢ .
(٥) سورة ق : ٤٥ .
(٦) سورة الشعراء : ٢١٥ .

يميز بينهم بسياسته المختلفة، فقال عن فرعون: **﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً﴾**[1]

واستدل من هذه الآيات وغيرها أن الحاكمية الإسلامية مسؤولية وتكليف، وليست مفخرة وتشريفاً. فقال رحمه الله:

«عرفنا من آيات القرآن عن الحاكمية الإسلامية.. أنها تكليف بأمانة ثقيلة، لا تشريف بجاه عريض، أو مال طائل.. وأنها مسؤولية ضخمة يضعها الله، أو يريد من عباده أن يضعوها على أعناق الأمناء الأقوياء منهم.

وقد نص القرآن على ركني الحاكمية- وهما القوة والأمانة- لأنهما ركيزتا كل مايطلبه من المحكومين: من عدل ورحمة، وحرص على مصالحهم، وتفريج لكربهم، ودفاع عن حماهم، وحفاظ لحقوقهم، وإنزال كل منهم في منزله، بلا تمييز ولا تفضيل، وفتح أبوابه لمظالمهم وحاجاتهم، والاهتمام برعاية ضعافهم، وجهالهم ويتاماهم، وعدم الترفع عليهم، ولا التعالي على نصائح الناصحين منهم..»[2]

ثم تابع تفسيره للآية الكريمة وتثبيت استنتاجه منها بالأحاديث النبوية فقال:

«يقول عليه الصلاة والسلام عن ركن الأمانة في الحاكمية الإسلامية: **(ما من راع يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لهم إلا حرّم الله عليه الجنة)**.. ويقول أيضاً: **(من وَلِيَ من أمر المسلمين شيئاً، فقلد رجلاً على عصابة؛ وهو يجد في العصابة أرضى منه؛ فقد**

(١) على مائدة القرآن، دين ودولة: ٢٥٦. والآية من سورة القصص: ٤.

(٢) على مائدة القرآن، دين ودولة: ٢٥٧.

خان الله ورسوله).

وأعجب من ذلك وأملأ للقلوب المؤمنة بقدامة الحاكمية الإسلامية وإنسانية الحاكم المسلم ماكان يقوله بني الإسلام عليه الصلاة والسلام: (إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد)· وماكان يخوف به الحكام بعده من الاحتجاب عن حاجات رعاياهم، والاستعلاء على مجالسهم:

(من ولي من أمر المسلمين ثم أغلق بابه دون المسكين والمظلوم وذي الحاجة أغلق الله أبواب رحمته دون حاجته وفقره أحوج مايكون إليها).

ويوجز عمر في كلمتين له المعنى السامي للحاكمية الإسلامية فيقول في الأولى: «والله ما أرسل إليكم عمالي ليضربوا أبشاركم ويأخذوا أموالكم، ولكن ليعلموكم دينكم، فمن فعل به غير ذلك، فليرفعه إلي!» ويقول في الثانية وهي موجهة إلى ولاته وعماله على الأمصار: «ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم، فتكفروهم».

وتكملة لهذه الصورة الرائعة للحاكمية الإسلامية، نتذكر الحديث النبوي المراضي الثلاث التي رضيها الله سبحانه لخلقه، وكانت ثالثتها: «أن يناصحوا من ولاة الله عليهم».. والحديث النبوي عن وجوب السمع والطاعة للحاكم المسلم، ولو كان عبداً حبشياً، كأن رأسه زبيبة»[1].

ثم دفع توهماً خطيراً يتوارد على قلوب الدهماء ويستغله المنافقون والمتملقون في التقرب للحكام والأمراء وبين حق المحكوم وواجبه تجاه نصح ومراقبة الحاكم، فقال رحمه الله:

---

(١) على مائدة القرآن، دين ودولة: ٢٥٧-٢٥٨.

«ومن الغفلة البالغة مداها: أن يعتقد بعض الناس أن نبي الإسلام يأمر أمته بإطاعة حكامها، وهي عمياء صماء بكماء، حتى ولو كانوا عبيداً سوداً لمجرد أنهم حكام وكفى!!.

ومفهوم الحديث النبوي- كما أسلفنا- يطالب المسلمين بمواجهة الحاكم الطاغي الباغي الذي لا يحكم بما أنزل الله، ولو كان حراً قرشياً، وأن يراقبوه ويحاسبوه وينصحوه- كما كان أسلافهم يفعلون- بالصوالح والنوافع من شؤون الدنيا والدين»[1].

(١) على مائدة القرآن، دين ودولة: ٢٥٩.

جهره بالحق بوجوب الحكم بما أنزل الله

وتصدى الشيخ بعد ذلك للموضوع ذاته، ولكن رداً على وزير الأوقاف السابق في مصر أيام وزارته وهو الأستاذ أحمد حسن الباقوري[1].

وقد أجاب الباقوري عن سؤال لتطبيق الآية: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ على حكام بلده وأمثالهم يومئذ (شوال ١٣٩٢هـ). وقد اعتذر الباقوري عنهم بأنهم في (حالة الضرورة التي تبيح المحظور) وأنهم يعتقدون بالدين الإسلامي ووجوب الحكم به لذلك «فغاية مايحكم به على أحدهم بأنه مذنب، ولا يجوز الحكم عليه بالكفر والخروج من الدين»[2].

واستشهد لهم بتفسير عطاء للآية ولفتواه فيمن تراخى في زمانه عن حكم الله مع اعتقاده به فحكم بغيره. وأسهب الأستاذ الداعية أحمد جمال بالرد عليه بمناقشة علمية جادة وحامية في كتابه (القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته)[3]، وفنَّد استدلاله، لكن فات الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال أن يذكره بأمور أساسية في دعواه، نذكر منها:

---

(١) وقد تخرج من كلية اللغة العربية بالأزهر، وهو معروف منذ كان يافعاً بالطموح والنشاط، وكان أيام تحصيله في معهد القاهرة الثانوي يقود المظاهرات والاشتباكات التي تقع بين طلاب الوجه البحري وطلاب الوجه القبلي أيام الاحتلال لمصر بسبب المنافسات الاقليمية والسياسية! وانصرف بعد حصوله على الشهادة العالية (الليسانس) في اللغة العربية لممارسة النشاط الاجتماعي والعلمي والسياسي، وتنقل بين عدة كتل واتجاهات مختلفة، ثم ذهب يفتي في مسائل الدين فتاوى شاذة منكرة، نحو فتواه أنه يجوز للمرأة أن تصلي بلباس السباحة (المايوه)!!؟ (راجع للتوسع كتاب ماذا عن المرأة، د. نور الدين عتر (ص ١٦٧)، ط. دار الفكر بدمشق).

(٢) القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ص ١٢٦ نقلاً عن مجلة العربي (شوال ١٣٩٢هـ).

(٣) انظر للتوسع الجزء الثاني: ١٢٤ - ١٤٤.

١ - أن قياس الباقوري هنا مع الفـارق فلا يقبل الاحتجاج به . فإن الذين أفتـى بشأنهم بعض المفسرين المتقـدمين يختلفون تمام الاختلاف في عمـوم تمسكهـم واعتقـادهـم ونسبـة مخالفتهـم عـن كثير مـن الحكـام المعاصرين الذين اشتملهم الباقوري بدفاعه وفتواه .

٢ - زعم الباقوري أن الضرورة ألزمتهم بذلك أمر غير صحيح أبداً ، فما هي وجوه الضرورة لتصرفـاتهم ، وقد نسفت الآن مبادئهـم ومخططاتهم ولم تمنع الضرورة مـن ذلك . اللهـم إلا إذا كان قصـده ضرورة بقائهـم في مناصب الحكم بمرضاة الملاحدة والكفرة .

٣- أن ذلك النـوع من الحكـام كانـت تصحبهم في حيـاتهم قرائن قويـة في تصريحاتهم وقوانينهم وتخطيطهـم و إعلامهم على الاعتقـاد بنظم ومبادىء شيـوعية وعلمانيـة و إلحادية بحتـة . وهذه قـرائن قويـة يصعب الزعم معها بأنهم كانوا أصحاب عقيدة إسلامية صحيحة .

ولسنا بصـدد البحث في هـذا الجانب فنحيـل القاريء إلى التعـرف على جهود الأستاذ الداعية في خدمة تفسير القرآن بمطالعة كتبه المذكورة .

خامساً : الشورى في القرآن★

وبحث الأستاذ الداعية رحمه الله في الشورى في ظلال آيات الذكر الحكيم، فتحدث عن وجوب الشورى تحت عنوان (الالتزام بالشورى)[1]

فذكر فارقاً أساسياً بين الشورى وبين الديمقراطية، ثم قال :

«وإنما تبحث الشورى الإسلامية عن الحكمة والرشد والصواب عند أهل الذكر وتنهى عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون ففي القرآن الكريم :

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾[2]

﴿فاسأل به خبيراً﴾[3]

﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾[4]

وفي الحديث النبوي، وأخبار الخلفاء الراشدين : «ماينص على أن الشورى إنما تُطلب من أولي العلم والتقوى، وترجى عند أهل الحل والعقد»[5] .

★ كان الأستاذ المؤلف عضواً في أول مجلس للشورى في السعودية وفي مجالس أخرى .

(١) في الفصل الخامس من كتابه على مائدة القرآن، دين ودولة : ٢٧١ .

(٢) سورة النحل : الآية ٤٣ .

(٣) سورة الفرقان : الآية ٥٩ .

(٤) سورة فاطر : الآية ١٤ .

(٥) على مائدة القرآن . دين ودولة : ٢٧١ - ٢٧٢ .

ثم ألمح إلى قصتين عظيمتين في القرآن المجيد تتصلان بالحكمة من الشورى اتصالاً وثيقاً. فقال:

«في القصة الأولى يصور لنا استبداد فرعون مصر وطغيانه، وامتداد تزيين الشيطان له سوء عمله، وصده عن السبيل حتى أله نفسه، وحشر ملأه ونادى فيهم: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾[1] وحاول أن يقنعهم فقال: ﴿**يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري**﴾[2] ثم ألزمهم رأيه مدعياً رشده وإخلاصه ﴿**ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد!!**»[3].

هكذا يجزم فرعون مصر بأنه إله، ويلزم ملأه برأيه وحده، ويحكم بأنه بما يقدمه لهم من قول أو عمل إنما يهديهم به سبيل الرشاد.. فلا تعقيب ولا رد، ولا شورى ولا استنكار من ملئه عليه!![4].

ونسترسل مع سرده القصة الثانية وتبيانه حكمة الشورى وعبرتها فيها؛ وفي الاعراض عن الشورى في القصة الأولى... إذ قال المؤلف رحمه الله:

«وفي القصة الثانية نجد امرأة.. نعم امرأة- وليست رجلاً كفرعون مصر- نجد ملكة سبأ عندما دعاها النبي الملك سليمان دعوة الحق إلى الإسلام، تجمع ملأها لتأخذ شوراهم في مادعيت إليه من أمر جديد عليها وعليهم: ﴿**قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلى كتاب كريم.. إنه من**

(١) سورة النازعات آية ٢٤.
(٢) سورة القصص: آية ٣٨.
(٣) سورة غافر: آية ٢٩.
(٤) نفس المصدر: ٢٧٣

سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . . **ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين﴾** ثم قالت : ﴿**أفتوني في أمري ، ماكنت قاطعة أمراً حتى تشهدون**﴾[1] .

أليس هذا مثلاً رائعاً لعقل امـرأة وفضلها . . امرأة تستشير قومها في أمر عـرض لها ، وتقول لهم بصريـح القول : ﴿**ماكنـت قاطعةً أمـراً حتى تشهدون**﴾

وليـس هذا هـو كل مـافي قصة بلقيـس من روعـة وحكمة وسـداد رأي ، فقد اغتر ملـؤها وأخذتهم العـزة والتباهي بـرجولتهم وقـوتهم أخذة طاغيـة ، فقالـوا : ﴿**نحن أولـو قوة وأولـو بأس شـديد**﴾ ثم طـامنوا مـن كبريائهـم وغلوائهم ، ففـوضوا الأمـر إليها : ﴿**والأمر إليـك فانظـري ماذا تأمرين ؟**﴾ .

هنا أشبعت بلقيس الأمر عقلاً وفضـلاً ، وأمتعت الملأ - ملأها وكل ملأ يقرأون قصتها بعدهم - بما أعلنـت من حكمة وسداد رأي ، فقالـت : ﴿**إن الملوك إذا دخلـوا قرية أفسدوهـا وجعلوا أعزة أهلهـا أذلة**﴾ وقد أيّد ذلك القرآن ، وأكده بقوله : ﴿**وكذلك يفعلون**﴾ .

وهكذا انتهـت «الشورى» في قصـة ملكة سبـأ بسلامتهـا وسلامـة قومهـا وإسلامهـم ﴿**مع سليمان لله رب العـالمين**﴾ ! ! وانتهى الاستبـداد والطغيان في قصة فرعون مصر بغرقه وجنوده في اليم أولاً ثم : ﴿**يقدم قومه يوم القيامة فأوردهـم النار وبئس الورد المورود**﴾ .

ولكـن القرآن يـورد هذه القصـة ويعمـد - عمداً صريحاً - إلى بيـان حكمتهـا وعبرتها . . وهـي حكمـة «الشـورى» وعبرتها . . التـي هـدت

---

(١) قصة بلقيس ملكة سبأ في سورة النمل وبخاصة في الآيات : ٢٩ - ٣٢ .

بلقيس إلى الإسلام مع سليمان. «والإسلام» هو دين الله منذ الأزل و إلى الأبد.. ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين﴾»[1]

وبين المؤلف وجوب الشورى على المسلمين حكاماً ومحكومين مستدلاً بآيات الذكر الحكيم وتطبيق النبي الكريم فقال:

«إذن فالشورى أساس متين من أسس العدالة الاجتماعية والسياسية الإسلامية، وهذه لبنات هذا الأساس المتين من القرآن المبين: يؤكد القرآن وجوب الشورى بين المسلمين حكاماً ومحكومين فيقول:

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.

وهذا ما حدث فعلاً في العهد النبوي المبارك، وحكم الخلفاء الراشدين بعده، وحكم أمراء المؤمنين العادلين بعدهم، ثم يشير القرآن على أن أمراً إلهياً، قد صدر إلى نبي الإسلام- وهو من هو وحياً وهدياً- بالتشاور مع أصحابه فيما يعزم عليه من أمر، فيقول:

﴿وشاورهم في الأمر﴾.

وقد أخذ نبي الإسلام- عليه السلام- بمبدأ الشورى كما أمره ربه، فشاور صحابته فيما يكون به الايذان بالصلاة، وشاورهم في أسرى بدر، وأشير عليه باتخاذ المنبر للخطابة فاتخذه، وأشار عليه سعد بن معاذ ببناء عريش له في بدر فقبل، وأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق في غزوة الأحزاب ففعل، وأشار عليه الحباب بن المنذر بأن ينزل المسلمون عند أدنى ماء من العدو يوم بدر فقبل شوراه، وأشار بعض أصحابه بملاقاة

---

(١) على مائدة القرآن، دين ودولة: ٢٧٣ ٢٧٤. والآية الأخيرة من آل عمران: ٨٥.

المشركين يوم أحد خارج المدينة فوافقهم وكان رأيه أن يحاربهم داخلها»[1].

ذكر المؤلف هذا التفسير للقرآن بأفعال النبي وتطبيقه العملي في واقع الحياة، ثم أوثق تفسيره وأتمه بآثار بعض الصحابة وبأحاديث أخرى عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فقال المؤلف رحمه الله:

«وسأله علي بن أبي طالب آخر الخلفاء الراشدين عن المشكلة لم ينزل فيها قرآن ولم يروَ لها حديث نبوي؟ فقال ﷺ: اجمعوا لها العابدين من المؤمنين فاجعلوها شورى بينكم. ومن حديثه الشريف «المشورة حصن من الندامة وأمان من الملامة». ومنه أيضاً «إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم، فظهرُ الأرض خير من بطنها. وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأمركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها».

وروى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه في تفسير قوله عز وجل:

﴿**وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله**﴾ انه ﷺ سئل عن (العزم)؟ فقال: «**مشاورة أهل الرأي ثم أتباعهم**». كما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: لو «اجتمعتما في مشورة ماخالفتكما». ويقول أبوهريرة- في المستدرك- «مارأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ».

وهنالك ما لا نحصيه من نماذج مشاورة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لكبار الصحابة فيما عَرَضَ لهما أيام خلافتهما من مشكلات وقضايا

(١) على مائدة القرآن، دين ودولة: ٢٧٤.

داخلية وخارجية . . وقد روي عن عمر أنه قال مرة : «من قام بهذا الأمر- أي الحكم- فهو تبع لأولي الرأي» وقال مرة أخرى : «إني لم أزعجكم إلا أن تشتركوا في أمانتي وفيما حُمّلت من أموركم ، فإني واحد كأحدكم . . » . »[1] .

وخصص المؤلف رحمه الله كتابه (مأدبة الله في الأرض) لتفسير آيات مختارة من القرآن المجيد ، وصنفها حسب موضوعاتها في سبعة فصول ، فجاء عنوان أحد مباحث الفصل السادس هكذا : ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم**﴾[2] ثم ذكر هذه الآية بتمامها وأيد تفسير جوانبها بأخواتها من آيات الذكر الحكيم عن الرحمة بين المؤمنين وبين الحكام والمحكومين وعن الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والقول العذب اللين . والنصيحة الصادقة الخالصة من الأغراض الشخصية والمطامع ، قال الله تعالى :

﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**﴾[3] .

وتكلم المؤلف عن الشورى بعد تلك الجوانب فقال رحمه الله :

«وهذه الصورة البارزة المشرفة التي يقدمها القرآن لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام- كحاكم سياسي وكقائد عسكري . ولكل أمير ووزير ، بل كل معلم ومدرس . . أي لكل من ولاه الله أمر جماعة من المسلمين في أي مجال أو ميدان من شؤون الحياة- على حد تعبير الرسول نفسه ﷺ في

(١) على مائدة القرآن دين ودولة : ٢٧٤-٢٧٥ .
(٢) مأدبة الله في الأرض : ٣٨٤ ، ٣٩٣ .
(٣) سورة آل عمران : ١٥٩ .

حديثه «**ألا كلكم راع . . وكلكم مسؤول عن رعيته**» .

إن كل الحكام والـولاة والدعاة والمعلمين يوجههم القـرآن الكريم- في هذه الآية الكريمة- إلى أن يكونوا في سيـاسة أممهم ، ورعاية شعوبهم ، وتربية طلابهم وشبابهم : رقـاق الأفئدة ، لطاف الأخلاق ، يسود كلماتهم وحـركـاتهم الرفـق واللين . . مـع العفـو عـن المخطيء والاستغفـار لـه ، وإشعاره بأنه مازال أخاً حبيباً قريباً في جماعة المسلمين .

وإذا كـان الله عز وجـل يقول لنبيـه الـرؤوف الرحيـم : ﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾[1] .

فالحكام والولاة والرعاة أولى بهذا التـوجيه القرآني إلى خفض الجناح لرعاياهم وأممهم وشعوبهم .

وليـس هذا فحسـب . . بـل هناك تـوجيـه «مهم وخطير» في الآيـة نفسها ، توجيـه للرسول عليه الصـلاة والسلام- وهو من هـو عصمة من الخطأ وسلامـة من الزلل ، وهو الذي لا ينطـق عن الهوى كما يصفه القرآن نفسه- إلى مشاورة أصحـابه- إلى مشاورة أصحابـه . والاستماع إلى آرائهم والأخذ بالصائب منها :

﴿**وشاورهم في الأمر . فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**﴾ .

فهو أمر صريـح من الله لنبيه المعصوم الذي لا ينطـق عن الهوى بأن يشـاور أصحابـه فيما يعرض لـه مـن شؤون وقضـايا في السلـم والحرب ، والشدة والرخاء .

وقد ثبت- تأريخياً وواقعياً- مـن سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٥ .

أنه كان يشاور أصحابه من مهاجرين وأنصار في أمور الدولة وشؤون الرعية»[1].

وألمح إلى مشاورة النبي ﷺ أصحابه في بدر وأحد والخندق، ثم أيّد بحثه بتفسير موجز لآية الشورى الثانية فقال:

«ويؤكد القرآن صفة لازمة للأمة الإسلامية... وهي (الشورى) فيما بينهم. وذلك في قوله تبارك وتعالى- في سورة سميت باسم هذا المبدأ السياسي العظيم (سورة الشورى)-: ﴿**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة، وأمرهم شورى بينهم، ومما رزقناهم ينفقون**﴾[2].

ونلاحظ هنا أن (الشورى) قرنت بركنين من أركان الإسلام، وهما الصلاة والزكاة.. فهي إذن لازمة لزومها وواجبة وجوبها.. لأن الشورى لا تقل بركة وخيراً عن الصلاة والزكاة.. على مستوى الفرد ومستوى الجماعة معاً.

ونجد عبر السيرة النبوية وخلال سياسة الخلفاء الراشدين نماذج من (الشورى) والحث عليها، والالتزام بها فالرسول عليه الصلاة والسلام وهو- كما أسلفنا- المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى.. يقول لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما» وفي حديث آخر: سئل رسول الله ﷺ عن العزم فقال:

«مشاورة أهل الرأي ثم أتباعهم» وفي حديث ثالث نبه الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أن يكون المستشار أميناً حيث قال: «المستشار مؤتمن» أي يجب ألا يخون من استشاره وألا يكذب عليه، وألا يغشه فيما

---

(١) مأدبة الله في الأرض: ٣٨٩-٣٩٠.

(٢) سورة الشورى: آية ٣٨.

يبدي له من مشورة»[1].

فكشف في هذا البيان- رحمه الله عن بعض صفات أعضاء مجلس الشورى؛ بعد أن أكد بالدليل وجوبها وأهميتها البليغة في نظام الحكم الإسلامي ثم واصل بيان صفات أعضاء مجلس الشورى تمييزاً لهم عن أعضاء المجالس الديمقراطية المعاصرة فقال رحمه الله:

«وهنا ملاحظة مهمة ينبغي أن ننتبه لها كل الانتباه وهي أن (الشورى) الإسلامية لا تؤخذ من العامة والرعاع؛ الذين تشترى أصواتهم بالمال وبالوعود الخادعة، ولا ممن يختارهم هؤلاء الرعاع والعامة ممن يسمونهم (نوايا).

وإنما تؤخذ الشورى- في النظام الإسلامي- من أهل العلم والفهم، وذوي الحكمة والخبرة، فهؤلاء هم أصحاب الرأي السديد الرشيد.. وهؤلاء هم الذين كان الرسول عليه الصلاة والسلام يشاورهم، وكان الخلفاء الراشدون يشاورونهم، وتمت بيعة أبي بكر أول خليفة في الإسلام على أيديهم كما تم تنصيب الخليفة الثالث عثمان بن عفان بناء على آراء مجموعة من خيار الصحابة الأجلاء»[2].

أقول: وأكتفي بهذا العرض مما كتبه المؤلف رحمه الله حول هذا الموضوع الجليل، وسيصدر كتابنا (الشورى في الإسلام) عن قريب بإذن الله.

والحق أن كتابات الأستاذ الشيخ أحمد محمد جمال رحمه الله عن نظام الحكم وعن الشورى؛ وفي الرد على الآراء المدسوسة المسمومة؛ ونقد الأوضاع المشينة في المجتمع الإسلامي؛ صرخة، عظيمة لإيقاظ

(١) مأدبة الله في الأرض: ٣٩١-٣٩٢.
(٢) مأدبة الله في الأرض: ٣٩٢-٣٩٣.

الأمة من عميق سباتها، وجهر بالحق في وجوه الطغاة والمتآمرين وأذناب الاستشراق والغزو الفكري والنفوذ السياسي والاجتماعي.

وهي في نفس الوقت كلمة نصح صادقة أمينة واعية تهدف إلى إصلاح الأمة الإسلامية ورقيها وعزتها بالتمسك بدين الله عز وجل.

منهج المؤلف في تفسيره للآيات القرآنية

يمكنك من خلال ماعرضنا آنفاً أو من مطالعاتك لما كتبه الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال - رحمه الله - أن نستخلص له منهجاً عاماً في تفسير آيات القرآن الحكيم، ونلحظ فيه مايلي:

١ - تفسير الآية من القرآن بآيات أخرى تؤكد معناها أو تبين مجملها، أو تزيد عليها في تبيان مراد الله من كلامه القدسي العظيم. وعبر العلماء عن هذا المسلك بأنه تفسير القرآن بالقرآن[(١)].

٢ - تفسير القرآن بحديث النبي ﷺ. وهو المعروف لدى المفسرين بأنه تفسير القرآن بالسنة[(٢)]. قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر.

فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له»[(٣)].

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة كما لاحظت في استشهاده بكلام

---

(١) مقدمة التفسير لابن تيمية: ٩٣/ والاتقان في علوم القرآن، للسيوطي: ٤/ ١٧٤.
(٢) الاتقان: ٤/ ١٧٤، والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢/ ١٥٦، والتفسير والمفسرون ١/ ٣٣و٤٥.
(٣) مقدمة التفسير، ابن تيمية: ٩٣. وانظر أدلته: ٩٣-٩٥.

عمر بن الخطاب ودرج على هذا المسلك أئمة التفسير المتقدمين والمتأخرين[1].

٤- التعويل على أسباب النزول في تفسير الآية. والتعرف عليها بأحاديث النبي ﷺ أو بأقوال الصحابة، وعندئذ لها حكم الحديث المرفوع. وقد درج الأئمة من قبل على ذلك.

٥- تفسير القرآن بأقوال أئمة التابعين، فإنه اعتمد ذلك نقلاً عن الامام ابن كثير وغيره في رد النسخ عن بعض الآيات التي زعم ابن حزم نسخها- وهذا مسلك معتمد عند أئمة التفسير[2]، وهذه الخطوات هي أركان التفسير بالمأثور، وهو منهج كثير من المفسرين المتقدمين وبعض المتأخرين[3].

٦- تفسير القرآن بالأخذ المطلق للغة العربية[4].

٧- تفسير القرآن بقواعد التفسير المعتمدة لدى أئمة التفسير، كما رأيت في النسخ؛ وفي ترجيحه بقاعدة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

٨- التفسير بالاستنباط الذي يدل عليه النص دلالة قوية راجحة[5] وهذا اقتداء بأئمة التفسير أيضاً واستفاد من استخلاصهم كثيراً، وعوّل على اجتهادهم أيضاً.

---

(١) مقدمة التفسير، ابن تيمية: ٩٥-٩٧، والبرهان: ٢/ ١٥٧.
والاتقان: ٤/ ١٧٤. والتفسير والمفسرون، للذهبي: ١/ ٩٩-١٠٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ١٥٨، ومقدمة التفسير، لابن تيمية: ١٠٢-١٠٥
والاتقان: ٤/ ١٨١.

(٣) مقدمة التفسير: ٩٣-١٠٥. ومناهل العرفان: ٢/ ١٢ ومابعدها.

(٤) البرهان: ٢/ ١٦٠
والاتقان: ٤/ ١٨٢.

(٥) البرهان: ٢/ ١٦١، والاتقان: ٤/ ١٨٢-١٨٣. ومناهل العرفان: ٢/ ٥٩.

٩- الترجيح بين الأقوال المتعارضة بدليل قوي من القرآن أو السنة أو أقوال الصحابة المفسرين أو بقاعدة من قواعد التفسير المعتمدة عند أئمة التفسير. أو بالموازنة الفكرية والمحاكمة المنطقية السلمية.

١٠- عرض ذلك بأسلوب بياني سلس متماسك جذاب خلاب، تتجلى فيه فاعلية القرآن العظيم وعميق تأثيره في الأفئدة والقلوب.

وقد اكتفيت بهذا القدر اليسير لإعطاءِ صورة طيبة وافية. ولكن لا أدعي له العصمة في مؤلفاته، كما أنه لم يكن في أوج شهرته يدعيها لنفسه «فليس منا إلا من رَدَّ أو رُدَّ عليه إلا صاحب هذا القبر» وهو رسول الله ﷺ.

وبلاغة الكاتب في مراعاة مقتضى الحال، وقد دونت هذا المبحث وفقاً للمقام الذي نحن فيه «اذكروا محاسن موتاكم».

وأسأل الله تعالى أن يتقبل جهدي هذا وكل جهد بذلته وأبذله في خدمة الإسلام- خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتغمد الأستاذ الداعية الراحل أحمد محمد جمال بواسع رحمته، ويدخله فسيح جناته في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء الصالحين، وأن يعوض الأمة الإسلامية والشعب السعودي خاصة خيراً، وأن يوفق شبابنا لتقدير علماء الإسلام والإفادة منهم في حياتهم قبل فوات الأوان وأن يقبلنا في زمرة العلماء الأتقياء العاملين المخلصين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد إمام المرسلين وعلى آله وأصحابه وتابعيه إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

ثبت المراجع

● القرآن العظيم، كتاب الله تبارك وتعالى.
● الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ط. المشهد الحسيني بالقاهرة
● البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ط. ثانية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
● تحفة الأحوذي، شرح جامع الترمذي، للمباركفوري، ط. الهند.
● تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ط. دار الشعب. القاهرة.
● التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، ط. ثانية. دار الكتب الحديثة سنة ١٣٩٦هـ. مصر.
● جامع أحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة.
● جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري. ط. دار المعارف القاهرة.
● روح المعاني، محمود شكري الآلوسي، ط. المنيرية. مصر.
● سيرة النبي، عبدالملك بن هشام، ط. القاهرة ١٣٨٤هـ.
● صحيح البخاري، الامام البخاري، ط. مصر.
● صحيح مسلم، الامام مسلم، ط. مصر.
● على مائدة القرآن، دين ودولة، أحمد محمد جمال، ط. رابعة، دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ، بيروت.

● القصص الرمزي في القرآن، أحمد محمد جمال، ط . رابعة . دار الكتاب العربي سنة ١٤٠٥هـ، بيروت

● القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته «أحمد محمد جمال، ط . رابعة، دار إحياء العلوم، سنة ١٤١٢هـ، بيروت .

● مأدبة الله في الأرض، أحمد محمد جمال، ط . ثالثة، دار إحياء العلوم ١٤١٤هـ، بيروت .

● المسند، للامام أحمد بن حنبل، ت . المكتب الإسلامي، بيروت .

● ماذا عن المرأة، د . نور الدين عتر، ط . دار الفكر، دمشق .

● مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ط . ثالثة . القاهرة .

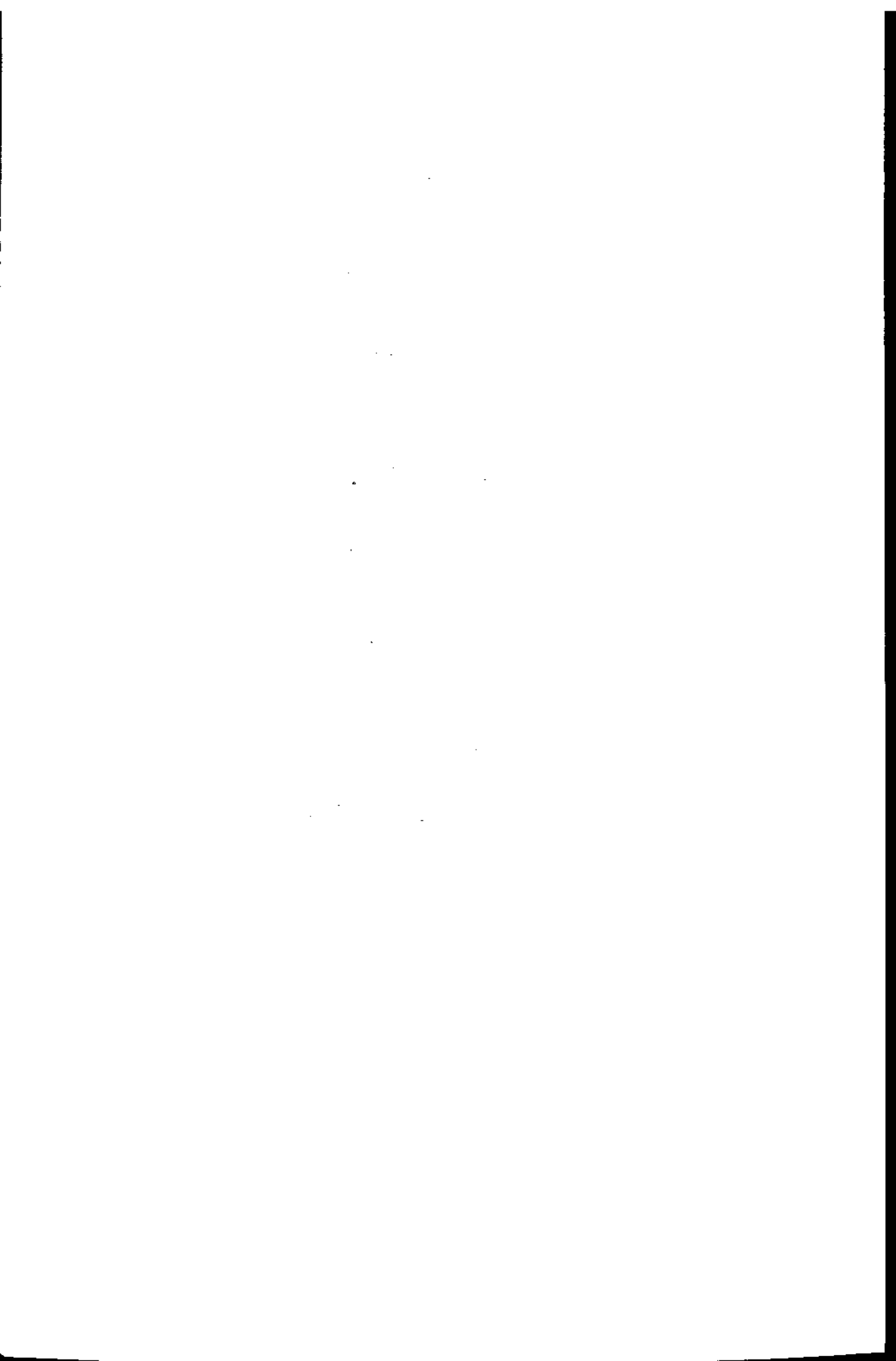
● مقدمة في أصول التفسير أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط . دار القرآن الكريم سنة ١٣٩١هـ الكويت .

أحمد محمد جمال (رحمه الله)
ظاهرة فكرية

بقلم:

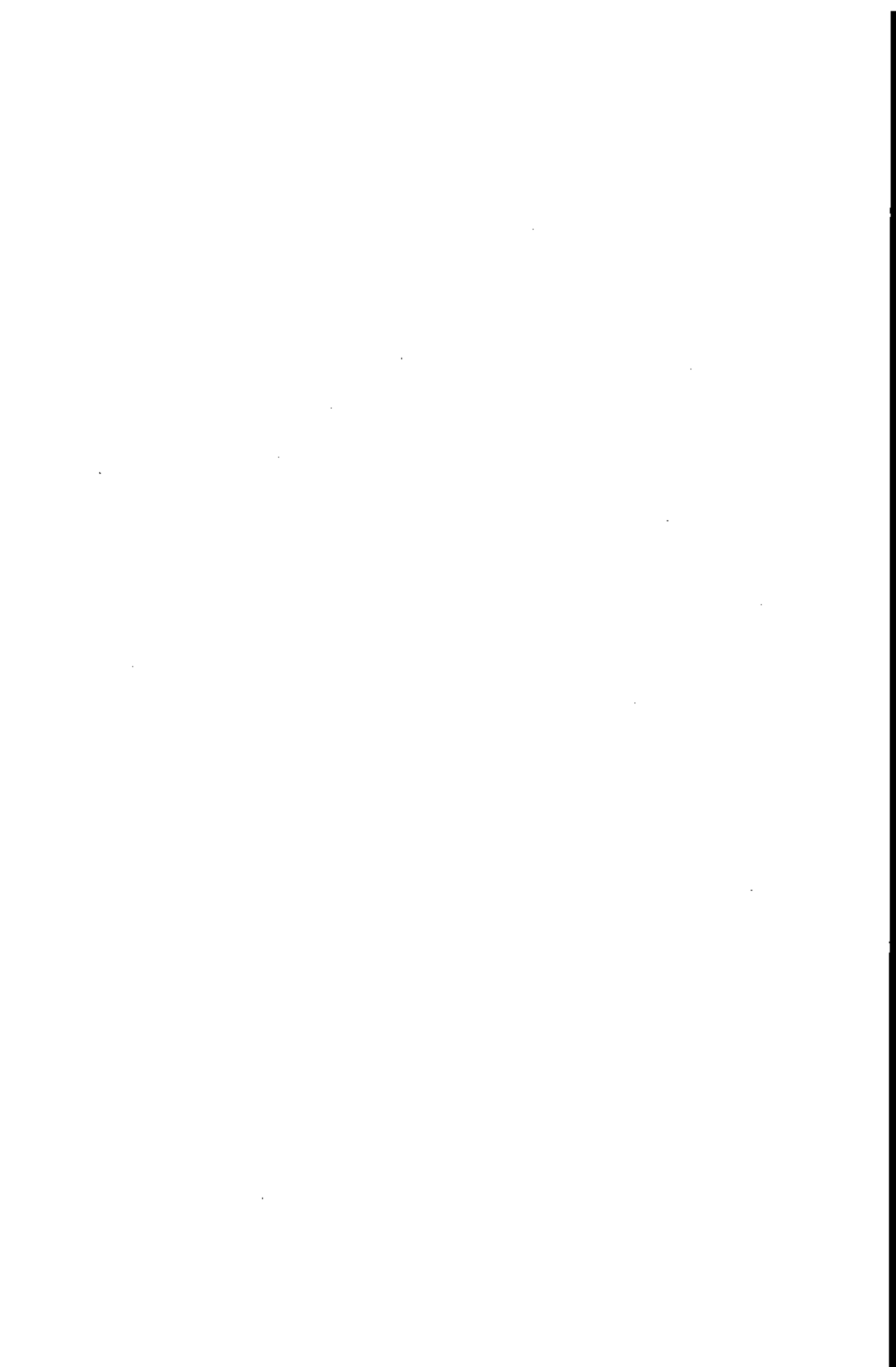
زهير محمد جميل كتبي

كاتب صحفي سعودي



الفصل السابع :

- أحمد جمال.. ظاهرة فكرية.
- حديث وحوار .



أحمد جمال.. ظاهرة فكرية

● لقد استهوتني شخصية سيدي الوالد العالم العلامة المفكر الإسلامي . . أحمد محمد جمال- رحمه الله- . . هذا الرجل المكيّ الولادة والمنشأ والتربية والتعليم والمسكن والمدفن. عرفته وعمري (١٢) عاماً عندما شاهدته في مكتب مدير مدرسة الإمام البخاري الإبتدائية بحي الزاهر بمكة المكرمة الأستاذ/ أحمد على حسنين- رحمه الله- حيث جاء الشيخ أحمد جمال للسؤال عن مستوى أبنائه بالمدرسة ومنهم زميلي وصديقي الأخ (رجاء) . . حيث كنا في مقعد دراسي واحد. ومن ذاك اليوم حتى آخر لحظة من عمري سأظل أحترم وأقدر شخصية أحمد جمال. لقد كان لي شرف مرافقته في رحلته الأخيرة والتي كانت للقاهرة. فلقد تقابلنا بغير ميعاد في صالة نادي الفرسان بمطار الملك خالد بجدة ومعه أخوه محمود. فصلى بنا- رحمه الله- صلاة الظهر والعصر جمعاً وقصراً. وركبنا الطائرة وشاءت إرادة الله جل وعلا أن نجلس بجوار بعضنا البعض ومضت الرحلة في زمن سريع ولم نشعر بها ودارت بيننا أحاديث فكرية وصحافية وسياسية، ووصلنا مطار القاهرة. وهناك تم الوداع على أمل اللقاء ولم أكد أعرف أنه الوداع الأخير مع هذا الرجل العظيم الذي طلب مني أن نعود إلى مكة المكرمة سوياً في رحلة واحدة، فطلبت منه أن تكون العودة على رحلة الصباح فقال: لا يابنيّ . . أفضّل المسائية. واتفقنا بعد أسبوعين وحدّدنا يوم ١٤/ ١٢/ ١٤١٣هـ، وطلب رقم هاتفي بشقتي بالقاهرة فأعطيته البطاقة التي تحمل عنواني

ورقم هاتفي ومضى ومضيت. وبعد أيام مضت يتصل بي الأهل في مكة المكرمة وطلبوا مني العودة للمشاركة في الفرحة بعيد الأضحى ويشاء الله أن أعود لبلادي الحبيبة يوم ٩/ ١٢/ ١٤١٣هـ في رحلة الظهر معاتباً نفسي لإخلافي الوعد، وهو نفس اليوم الذي عاد فيه جثمان.. (أحمد جمال).. من القاهرة. سبحان الله عودتنا إلى الوطن الحبيب بدون تخطيط مسبق وقبل الموعد الذي حددناه أنا والمرحوم. رحمه الله رحمة الأبرار.

● لقد استهوت شخصية.. أحمد محمد جمال.. الكثير من الشخصيات العالمية المرموقة ومن مشاهير السياسة والفكر والدعوة الإسلامية. وهذا الاعتراف الواسع لتلك الشخصية ذات الأهمية العالمية. إن شخصية .. أحمد محمد جمال.. تعلّمنا الكثير من الفضائل التي تنطوي عليها النفس البشرية الفاضلة وأي نبل أصيل تتحول إليه عندما تحقق بشجاعة عظمى كونها أحمد جمال. وهذا الرجل هو بحق من أشهر مفكري هذا الجيل، وربما كان الداعية المثقف الواعي الأشهر الذي يحترم الرأي الآخر بكل معاني الاحترام. إن أحمد جمال نسيج فريد بذاته من بين المفكرين الإسلاميين لقد سما هذا الرجل على أبناء جيله، ولا أبالغ إذا قلت عنه: إنه أبرز من في هذا الجيل فكراً وثقافة ووعياً وإدراكاً وخدمة للإسلام وقضاياه. إنه يجاهد هنا ويكافح ويتفقد ويحاور. إنه كبير بين الرجال الأفذاذ وذلك بسبب إيمانه بالله سبحانه وتعالى، وبسبب ثقة الناس به وبفكره وثقافته ونزاهته في اليدّ واللسان . فلم يكن أحمد جمال في يوم من الأيام صاحب قلم فقط بل صاحب رسالة. ولابد أن أعلن أن أحمد جمال أضحى مفكراً إسلامياً انتشرت

سمعته على محيط عالمنا الإسلامي كله ولقد ذاع صيته في الآفاق. إنه يبرز كواحد من الشخصيات الفكرية الرائعة في هذا العصر العاصف بكل التحديات والمنغصات. وأجدني أقول وبكل فخر واعتزاز واحترام إن.. أحمد جمال.. منارة تضيء الغيوم وتنير الآفاق المظلمة وتوسع المدارك الضيقة: إنه المشعل الفكري الذي لا يمكن أن يخبو، إنه الرجل الذي تنبت بين أفكاره الحكمة الهادئة العميقة المليئة بالإيمان والرضاء. وعندما يتحدث تشعر بتواضع كبير وبقسط أكبر من الصراحة والاتزان، وبأسلوب فريد من حيث أناقة العرض وعمق الفكرة والبراعة في بسطها وسهولة شرحها وتفسيرها، وهو أسلوب تميزت به كتاباته ومؤلفاته الكثيرة.

وكانت تلك الكتابات والمؤلفات قريبة إلى كل قلب وفي متناول كل فهم. إن حياة أحمد جمال هي قصة كفاح خليق بالتقدير يلهب الخيال ويوقظ في الذهن صورة حيَّة للمثل الإسلامية العليا. ظلت شخصية هذا الرجل العظيم متمسكة متعلقة بالله سبحانه وتعالى فما خضعت لأية قوى أو تيار فكري متراجع وهشّ، وهو صاحب مقاومة عفوية صادرة من الصميم. ودعوته التي لا تنتهي هي العمل على ارتقاء معالم الوعي عند الإنسان المسلم والمحافظة على أدوات تكوين ذلك الوعي. واشترط أن تكون مكونات ذلك.. «الوعي».. مزيجاً من المباديء والقيم الإسلامية. ولم يكن أحمد جمال ضائعاً تائهاً بين الثقافات، بل كان مثقفاً واعياً وقارئاً ممتازاً يقرأ من كل الثقافات الغربية والشرقية وحتى الملحدة منها، يفعل ذلك من أجل أن يكون في الميدان وحتى يستطيع التصدي وكشف الزيف وفضح الحقائق. والحقيقة

أقـول : إن أحمد جمال استطاع بجـدارة فـائقة أن يجعـل حيـاتـه الفكريـة والثقـافية أمثلـة يقتدي بها أبنـاء جيله ومـن جاء بعـدهم وأبنـاء جيلي ، وسأظـل أنا مفتخـراً أن الشيخ الـوقور المحترم . . أحمد محمـد جمال . كان قـدوتي . لقـد مهّـد الطـريق لكثير مـن المفكـريـن والمثقفين . ولقـد رأى المثقفـون في أحمد جمال من الفكـر والثقـافة والـدعـوة مـا جعلهم ينشـأون معجبين به إلى درجة كبيرة مـن الاهتمام والتقدير متابعين أعمالـه الإسلامية والفكـرية والثقـافيـة ، قـارئين كتبه ومـؤلفـاتـه ومقالاتـه ، مستمعين إلى محاضراته وأقواله .

حديث وحوار

● متى كـان لأحمد جمال صفاتٌ تجعله يمتلـك القدرة على الـذيوع والانتشار. . إنه زهو لا ينبع من كبرياء، وإنما من فعل وأداء وتأثير؟ .

لقـد كان . . - رحمة الله عليـه- فعلاً وأداءً وتـأثيراً، لـذلك مضـى عليـه الوقـت والتفت حـوله الـواجبات والمهمات الصعبـة والمسؤوليـات الشاقة والهمـوم بعضها ببعض، وإذا جلست لأكتب عـن شخصية هذا الـرجـل الفذ تـزاحمت أمـامـي أشيـاء كثيرة مختلطـة، ذكريـات لي معـه وأحداث كفاحـه التي أعرف عنها الكثير والكثير بحكم علاقتـي الوطيدة والحميمة به كوالـد وأستاذ وصديق صدوق، عرفـت وسمعت منه وقائع حلوة وأخـرى مريرة وقـاسية قسوة الصحـراء، وأحداث موحيـة وأخرى باهتـة، ومعظمها متشابك مـع الغير ومن أجل الغير، وكثير منهـا متعلق بالإسلام والمسلمين وقضـاياهـم. وتوقفـت وتوقف معي الفكـر والقلم في حيرة من أمري. هل أستطيع أن أكتب عن . . أحمد جمال . . وأكتب ثم أكتـب كل مـا أعرفـه عنـه وماوقـع له مـن منغصـات سياسيـة وفكريـة وثقافية. الحقيقة أقول: وبكل شجاعـة وجرأة إنني لا أستطيع فعل ذلك إن . . أحمد جمال . . لاشك انـه «ظاهـرة فكريـة» . . ليست عـادية بـل نادرة، وهـو الأكثر تأثيراً في تـاريخ الـدعوة الإسلاميـة المعاصرة بين علماء جيله. لأنـه كان يكتـب بحثاً عن . . (الحقيقـة) . . وهذه الحقيقـة هي المرتكز الأسـاسي الذي بنـى عليه أحمد جمال حيـاته الفكـرية والثقـافية.

ويأتي . . (احترام الرأي الآخر) . . المرتكز الثاني في حياته، فهو يقول : إن اختلاف الرؤية عند كل كاتب ومفكر باختلاف الموقع والزمان والمكان والخلفية الثقافية إزاء الحدث والقضية . لذلك كان دائماً يردد لابد أن نحترم . . (اختلافاتنا واجتهاداتنا واتفاقاتنا ومواقفنا الفكرية) . . ولا ننفعل عند بروز الاختلاف، حتى لا تكون تلك الاختلافات عبئاً ثقيلاً علينا . وأذكر أنه ذات مرة تناقشنا حول إحدى المقالات الصحافية التي كتبها- يرحمه الله- تتعلق بمشكل إسلامي فقال لي : من الأمور الطبيعية أن يقع بعض الاختلاف أو الخلاف الفكري بين ماكتبت عن هذا الموضوع وبين ماكتب الآخرون، ولكن رأيي وقناعتي الفكرية . وما اختلفنا لهوىً وتباين الفكر، لذلك اختلف تصورنا لما فيه الخير للإسلام والمسلمين . هذا هو أحمد جمال المفكر المتزن صاحب العقل الراجح والفكر الناضج . تألم الألم الكبير من حرب الإبادة ضد البوسنة والهرسك وأذكر أنه علَّق ذات يوم على هذا المشكل السياسي المعقد قائلاً : إحساسنا بالمرارة لا يمكن أن يوصف، وقدر المهانة لا يمكن تحديد حجمه وشعب مسلم أصبح مشرداً ومغتصباً وطريداً، والأمة الإسلامية واقفة تنتظر حتى يقضى على البقية الباقية .

ويعتبر أحمد جمال المثال والقدوة الحسنة والرمز المخلص للوطن والانتماء الوطني . ولم يكن هذا إحساسي وحدي . . ولكنه إحساس الجماعة والأمة . وكان هذا الإحساس ينمو في أعماقنا يوماً بعد آخر . لأنه كان يشعر باهتمام أكبر بهموم الوطن وانشغالاً بها . ولكن ذلك الشعور يتحول في يوم من الأيام إلى «غضب» لأنه يرفض الانفعال والتشنج أثناء معالجة أمور تتعلق بالوطن والمواطنين وكان هاجسه وإحساسه المرهف

هو أن يفعـل كل شيء من أجل الـوطن والمواطن . ذلك الفعـل المخلص يحركه حسّ وطني دافـق ، ويقيده انضباط أخـلاقي رفيـع . إنه الحماس الوطني الـذي يتحدث عن المملكة العـربية السعودية بمجبـة دافقة تثير الحمية في أي إنسان . كـان يحكي عن المملكة العـربية السعودية كـوطن عظيم يخدم الإسـلام وقضايـاه ، وكان يلـح على واجبنا كشبـاب في فعل شيء من أجل بـلادنا ، وأن التاريخ سـوف يحاسبنا يوماً . كـل كلماته من أجل الـوطن ملتهبـة ومؤثـرة وصادقـة . إن . . أحمد جمال . . أستاذي في «الوطنية» ، وهو أول مـن أقنعني بضرورة الكتابة في القضايا الـوطنية . أنا أقرر هذه الحقيقة وأنا لا أنسى فضله عليّ ماحييت .

● أحمد جمال يجيـب على أسئلـة النـاس في حـذر وذكـاء ، وهـو شخصيـة مهيبـة ومحترمة ، يمثـل نقطـة إشعـاع للعمل الإسـلامـي . لا يتعـامل مـع الفكر المشـوش وغير المستقـر ، لأن أحمد جمال مثقف واسـع الاطِّلاع ، حلو الحديـث ، يقدم إليك تحليلات فكرية جيّـدة ، فهو قاضٍ عادل ومنصف ، وهـو مصدر مهم للمعلومات الإسلاميـة وصاحب روح لا تهاب المخـاطر ، مفـرط الحسـاسيـة لكل مـا يتعلـق بجـوهر القضـايـا الإسـلاميـة . يكتـب بضمير مـرتـاح تمامـاً لأنـه لا يجد مبرراً للتـلاعـب بأحداث التاريـخ في محاولة لتصفية حسابات سياسيـة ، وتحمَّل مسؤولية العمل الإسـلامي وعرف كـل تفاصيله ، ولم يبـال بما قد يترتب عليـه من نتائج خطيرة . إنـه صاحـب نفس مطمئنـة تتقبل مـا يقول بصـدر رحب وترحيب شديد . وكانت له مواقـف فكرية مضيئة ناضجة ضد الكثير من المواقف الفكريـة المهتزة المهترئة . وتأصلت مـواقفه هذه بالأصـالة والجرأة والصراحة والوضـوح . وكان يشعر بمرارة تأنيـب الضمير إذا لم يقل كلمة

حق في موضوعها، ولأنه لا يحب أن يعيش في مأزق فكري. لقد وقف وحيداً في معالجة الكثير من المواقف الفكرية بينما كان الجو العربي متوتراً، وكان يعرف مسبقاً أن معركته صعبة، بل ومريرة. والحقيقة التي أودّ أن أتوقف عندها وأسجلها للتاريخ هي أن.. أحمد جمال.. يحتسب في ميزان التاريخ الإسلامي لأنه يقول كلمة الحق الإسلامي ولا يخشى لومة لائم، ولا يخشى مغبة الحكام في أي بلد كان فهو مجاهد منقض يجاهد بكفاءة وشجاعة وثقة عالية في النفس والموقف محتسباً لكل مايعمله ليوم الموقف العظيم. يوم توزن أعمال المرء مانطق به وما كتم.. إيماناً منه – يرحمه الله– أن باعث من في القبور يعلم سبحانه خائنة الأعين وماتخفي الصدور. إنه لا يحب أن يقف موقفاً ليس متطابقاً مع الحقيقة. وكان – يرحمه الله– لا يحب أن تتساقط الاقتراحات والأفكار وهي غير ناضجة لقناعته أن ذلك يضعفها ويفقدها قيمتها الفكرية. وأيضاً كان لا يحب أن يقحم.. «التخمين».. في أحداث إسلامية دقيقة. ويكره التعليقات المليئة بالسخرية في المحافل الإسلامية والمنتديات الفكرية الأدبية، وإذا شعر بذلك يتقدم ليكسر حاجز الوجوم، والنظرات المشحونة بالغضب ليقول كلمات عميقة تبدد غيوم ذلك المناخ، ولكن كل تلك الهموم والأعباء لم تجعله يغير من مواقفه الصلبة المتماسكة والواضحة. كل ذلك يتم على حساب أعصابه وصحته ووقته وعائلته. ويشعر بصدق كبير أن هناك تبايناً شديداً بين مواقفه ومواقف الآخرين ولكن لا يصاب بالخوف أو التراجع أو التردد. فالثبات والثقة هي المخرج من كل الأزمات والمنغصات. وترتفع أصوات النقد اللاذع والجارح ضده، والشتائم التي تتهكم على فكره، بل ارتفعت أصوات تطلب

منع . . أحمد جمال . . من الكتابة والنشر، ووقع هذا له- يرحمه الله- كثيراً لأنه صاحب قلم حر ومخلص وواعي . ويتمتع الشيخ «أحمد جمال» . . بشخصية هادئة وقوية فعندما يبرز شخص يقدح فيه فإنه لا يرد ولا ينفعل ، فقد كنت أعرف مدى سخونة المشاعر في نفسه ولكنه قادر على ضبط نفسه في اللحظة المناسبة ، ويمسك بزمام أعصابه مهما كان الموقف صعباً ومحرجاً . ويتصرف بضمير نقي ، وبلا ضغينة ضد أحد ، ولا يحقد على أحد ، لأنه لا يرتكب خطأ يخشى منه ، أو يخشى أن يحسب عليه ، يتصرف وفق مايعتقد أنه في صالح الوطن والمواطن وكان- يرحمه الله- يعتقد أن «الوطنية» . . مسألة تستحق أن يضحي الإنسان من أجلها . ولذلك فهو لم يتقلد منصباً رفيعاً ، ولكن كان له نفوذ كبير في المجتمع المحلي . وإذا كان البعض يؤيده فإن البعض الآخر ضده ، ولذلك فهو حريص على عدم . . (التصادم) . . ويرفض أي عمل من شأنه أن يثير المزيد من الشقاق ولهذا كانت رؤيته صافية . وهي من المواقف التي أعتز بها برغم كل ماقالوا وكل مافعلوا . ولايريد أن يتسبب في أي مشكلات ، وفي نفس الوقت لايريد أن يخالف ضميره اليقظ وموقفه الرجولي ، ولذلك فهو لا يلتزم بما لا يوافق عليه . ولكنه لا يغلق الطريق أمام الحوار، ولا يحب تمييع المواقف ، ولا يفعل مايخالف ضميره ، بل تمسك بما اعتقد أنه صواب ، وأنه في صالح الوطن والمواطن . وعرف عنه- يرحمه الله- أنه لم يسع لخصومه مع أي من الأطراف وإن اختلف فإن الخلاف لايكون على شيء شخصي أو مصلحة شخصية ، ولكن أحمد جمال يمتلك وجهة نظر واضحة وناضجة ، وهو دائماً القول : إن الموقف والمبدأ يستحقان أن يتمسك بهما الإنسان . ولذلك اختلف أحمد

جمال بشرف، وتمسك بمواقفه برجولة تستحق الاحترام، وتصرف بكامل العقل، وكامل الإحساس بالمسؤولية. وما أصعب أن تتمسك بالمبدأ الصحيح. ويحترم أحمد جمال الاختلاف الذي نبع من اختلاف الرؤية والموقف والاجتهاد الذي لا تعبث به الأهواء، فلذلك لا يحمل لهم إلا كل حب واعتزاز. وكان أحمد جمال رجلاً بعيد النظر، لا يخطو خطوة إلا بعد حساب دقيق، لأنه قاريء ممتاز لذلك كان يولي مسألة المعرفة اهتماماً خالصاً، وكان مستمعاً جيداً، وتعامله مع الجميع يتم بوضوح وصراحة وإخلاص وهو نقطة توازن هامة في العمل الإسلامي. طيب القلب يجب أن يقيم علاقات حسنة مع الناس، ويتباسط معهم، وحياته منظمة يكره السهر ويصحو مبكراً للتفاعل مع الحياة، وصاحب علاقات شخصية حميمة، وهو شخص مرح وسخي، متفتح، واقعي، يمتلك موهبة الإقناع بصورة لا يمكن تخيلها فهو قادر على أن يقنعك بعشرات الحجج في موضوعك، ولديه قدرة أن يقنعك بنقيضه بحجج أخرى مضادة. نشيط وفاعل وذكي. وهو رجل شجاع، اكتسب بشجاعته واستقامته احترام الجميع. يطرح أفكاراً حاسمة وقاطعة ولا يقبل مساومة حولها. وهو رجل كفء، ونزيه، ولا يجامل أحداً على حساب الآخرين وقد حقق نجاحات كبيرة في كل عمل تولاه، وهو رجل إذا وعد يفي بوعده مهما كان الثمن. فهو صاحب عقلية سياسية مرتبة، ورؤية واضحة. وقد شارك في صياغة بعض أنظمة المملكة العربية السعودية المدنية. وأحمد جمال كتلة من الإخلاص للإسلام والوطن. وهو شخصية وطنية بمعنى الكلمة. إذا قرر شيئاً فعله بنجاح، وفوق هذا فهو رجل حاسم حازم. وهو مرتب الفكر، هادىء التفكير. لديه القدرة على

المواجهة والمصارحة الشديدة بصبره الهاديء . وامتازت شخصيته- يرحمه الله- بقدرة الانسجام مع الناس فهو يتفهمهم ويتحسس آرائهم وقضاياهم ويخلص كل الاخلاص لقضاياهم ، إذ أن فيه ثقة بهم يقابله منهم احترام مكين وحب رائع شديد يصعب وصفه ، فهو يتحدث إليهم بكل صراحة حديث القلب للقلب . وهذه الأحاديث هي سلاحه في شرح مشاكلهم . وهو شهم في مواقفه الفكرية وصاحب نية حسنة في التعامل مع الآخرين . لقد كان أحمد جمال . . (الرمز والعطاء) . . إنه إضاءة حق ومعلم على طريق الإيمان ، وقنديل وفاء وقصة كفاح ، وعصامية شريفة . ورحل أحمد جمال وبقي علمه وفكره وثقافته وترك خلفه رصيد كبير من الحب والتقدير والاعزاز، بعد حياة حافلة بالإنجاز والعطاء والتضحية . رحم الله أحمد محمد جمال ونفع المسلمين بتراثه ورزقهم عوضاً عنه .

الأب أحمد محمد جمال (رحمه الله)

بقلم أبنائه

الفصل الثامن :

بقلم أبنائه

- الأب أحمد محمد جمال .
- سيرته الذاتية .

الأب أحمد محمد جمال رحمه الله

طلب إلينا الأخ الكبير والصديق الودود الأستاذ محمد محمود حافظ - متعه الله بالصحة - أن نكتب شيئاً عن والدنا أحمد محمد جمال - يرحمه الله - ليضمه إلى الكتاب الذي تزمع رابطة العالم الإسلامي طبعه عنه كداعية إسلامي مبرز على النطاقين المحلي والدولي وجوانب أخرى عن شخصيته العلمية تحت عنوان (أحمد محمد جمال بقلم أبنائه) وبإشراف الصديق الودود.

ومآقينا حقيقة لم تجف بعد من ألم الفراق ولوعة الاشتياق فهما معنا أينما كنا وكأنما احشاؤنا في أحشاء الخنساء إذ قالت:

يذكرني طلوع الشمس صخراً　　　وأذكره لكل مغيب شمس

ومازلنا ندافع أنفسنا عن حزنها على فراقهما ونستنزل الصبر بالتضرع إلى الله أن يسكنهما فسيح جناته الواسعة (ونقصد بهما الوالدين الحبيبين صالح وأحمد جمال يرحمهما الله)[1].

لذا ونحن نكتب هذه نشعر بأن أصعب كلمات الرثاء هي هذه التي تنحبس في القلب وتستعصي على التعبير، وتوقف اللسان عن البيان، فتتفجر الأحزان من داخل الإنسان وتتفتح الجراح، فإذا هي وردةٌ كالدهان وتسيل الدموع ناطقةً عن لوعة المشاعر والوجدان.

(١) صالح جمال هو الأخ الكبير والزميل والصديق والعديل للشيخ أحمد جمال صفة ونسباً ومعنى. بينهما النسب والزمالة والجوار والمصاهرة حيث تزوجا في ليلة واحدة من أختين كريمتين من مكة من أسرة فاضلة متعهما الله بالعافية.

ذلـك لأن الـواحد مـن البشر رغـم تيقنـه بأن الموت حـق على كـل مخلوق إذ أن (كـل نفس ذائقـة الموت). . . إلاَّ أنه ضعيـف رهيف أمـام تجربة الفـراق التي تباغته بفيـض من الأسى والآلام وكـأنه ماكان يتـوقع أبداً أن يحدث فراق بين الأحباب.

لقد ترك رحيـل والدنا أحمد -رحمة الله عليه- المفـاجيء[1] حزناً في القلوب مثلما خلق فراغاً في الساحة يـدركه أبناؤه وزملاؤه وتلاميذه وقراؤه ومحبوه.

وقـد تكاثـرت علينـا الأسئلة. . مـن أين نبـدأ؟ ومـاذا عسانـا أن نسجـل عنه؟ فـالأوراق كثيرة جداً. . عـلاوة على أنه أمضـى حياتـه في مكتبـه بين القلم والكتـب مستعيناً بـالله ومستلهماً أفكاره وخـواطره مـن كتابه الكريم وسنة نبيه الطاهر الأمين ﷺ ومتخذهما سلاحاً له يدافع بهما عن الإسلام وأهله يقينـاً منه بصلابته وعدم قهره ضـارعاً إلى الله أن يوفقه ويمده بتسديده مخافة الوقوع في سخطه وغضبه.

ولما تكاثـرت علينا الأسئلة استقربنـا المقام عند البدء مـن بيتين من الشعر كان قد كتبهما بيده عام ٦١هـ في الشهر الخامس منه ويقول فيهما:

هجرت القصيد لأهل القصيد   وأصبحت أنشد فقهاً صحيحاً

فـيارب هــب لي روحــاً نقياً   وفهماً ذكياً وعقـلاً رجيــحاً[2]

---

(١) سافر إلى القاهرة في الثاني من ذي الحجة على أمل أن يعود بعد اسبوع فمات بها ليلة عرفة وجيء بجثمانه وصلي عليـه في الحرم المكي فجر يـوم النحر يـوم الحج الأكبر ودفن بمقابر المعلا إلى جوار أخيه صالح رحمهما الله (المشرف).

(٢) من ديوانه الوحيد «وداعاً أيها الشعر».

بدأ حياته أديباً وشاعراً ولم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره بعد، وقرابة العشرين من عمره هجر القصيد، وبدأ يحفظ القرآن الكريم وتدبر آياته وقراءة كتب تفسيره والجلوس إلى حلقات الدرس في المسجد الحرام وحضور حلقات الذكر مقتدياً برسول الأمة صلوات الله وسلامه عليه ومعلمها وهاديها في سلوكه ونهجه.

وقد تطرق في مذكراته عن بداياته الشعرية ثم هجره للقصيد واتجاهه للتفقه في الدين. . . ولا بأس في أن نورد بعضاً من ماقاله في قافلة عمره حول ذلك. يقول:

«بدأت رحلتي مع القلم منذ الدراسة الإبتدائية وأول كتاب قرأته هو ديوان الشاعر العراقي معروف الرصافي وقد تأثرت به، وكنت انظم الشعر وألقيه في ندوة الخميس وكان الأستاذان الجليلان محمد على الشالي وعبدالكريم الجهيمان يصححان لي أشعاري ويقومان أوزانها ويشجعاني على المضي في المضمار الأدبي).

(وكما كانت بدايتي - حباً للشعر ونظماً له - فقد أصدرت مجموعة أشعاري في ديوان أسميته «الطلائع» على أمل أن تتبعه دواوين أخرى في المستقبل فإذا به يكون الخواتيم ولذلك عندما أعدت طبعه سميته «وداعاً أيها الشعر»، ولا أذكر - يقيناً - أول قصيدة قلتها وأول بيت فيها ولكنك ستجد في الطلائع أن أقدم مانشرلي، فيه من شعر مؤرخ بعام ١٣٥٧هـ أي قلته وعمري نحو الثالثة عشرة تقريباً.

وقد نشرت قصائد هذا الديوان في صحف ومجلات داخلية وخارجية منها مجلات الثقافة والرابطة ومصر الفتاة والصباح والشرق الجديد المصرية وكذلك الجمهور اللبنانية والرحاب العراقية).

وعن أسباب هجره للقصيد يقول رحمه الله:

(السبب الرئيسي في تحويلي إلى الثقافة الدينية والدراسات الإسلامية يتمثل في صلاة التراويح . . . فقد كنت أصلي التراويح خلف الشيخ الجليل عبدالله خياط[1]- متعه الله بالصحة والعافية- فتأثرت بصوته كثيراً فحفظت القرآن الكريم .

ثم تأثرت في دراستي القرآنية بأستاذي السيد علوي مالكي[2]- رحمه الله- وكنت أدرس على يده في الحرم المكي لمدة ثلاث سنوات- وربما أكثر- تركزت دراستي خلالها على تفسير القرآن .

ونتيجة تأثري الكبير بهاذين الجانبين فقد بدأت أتوسع في قراءة كتب الشريعة الإسلامية والتفسير والحديث) .

ويوضح في موقع آخر بقوله :

(عوّضت خروجي من المعهد قبل إتمام دراستي الثانوية في المسجد الحرام عند أستاذي الجليل السيد علوي بن عباس مالكي- رحمه الله- وكنت أحضر مع شقيقي صالح مجلساً لتلاوة القرآن عند السيد محمد أمين كتبي[3] . . مع العلماء الأفاضل عمر حمدان، وسالم شفي، وعيسى رواس، ومحمد العربي، ومحمد نور سيف[4]) .

وقد ذكر أيضاً أنه كان في صباه يدعوا الله بعد الطواف بالمسجد الحرام كل ليلة أن يجعله مثل مصطفى صادق الرافعي الكاتب الإسلامي المصري المعروف .

---

(١) هو إمام وخطيب المسجد الحرام وهو متقاعد عن الامامة والخطابة من سنين بسبب المرض .

(٢) علامة الحجاز العالم الجليل المفسر الفقيه، تتلمذ عليه الكثير داخل المملكة وتوفي سنة ١٣٨٩هـ .

(٣) السيد العلامة الجليل محمد أمين كتبي من العلماء الربانيين الذين كان لهم دورهم الإسلامي في نهضة التعليم في المملكة العربية السعودية .

(٤) كان تركه للمعهد في سنة ١٣٥٩هـ . أي وهو ابن ستة عشر ربيعاً تقريباً .

هذا قليل من كثير وجدناه بين أوراقه وكتبه يرحمه الله .

وبعد هـذه المقدمة التـي يتضح منها حقيقـة نفسه التي هـداها الله إليه .

ننتقـل في الحديـث عـن أحمد محمد جمال الأب والـراعـي لآل بيتـه وأقربـائه وأصدقائه . . ولعل مـانورده من أقـوال لأحد رفاق صباه يـدعم حديثنا عنه .

كان هيناً ليناً . . . يحكم عقله لا قلبـه . يوجه في غير إصرار ويتوجه بآيـة كريمة أو حـديث نبوي شريـف ، يتابعنـا في الصلاة ، وخاصـة يوم الجمعة حتى بعد ولادة أحفاده .

تخيّر لنـا من الأسماء أحسنهـا وكـذلك أحفـاده واسبـاطه ، يـؤدبهم ويفرح بهم ويداعبهم ويشتري لهم الهدايـا ولا ينسى تحصينهم بكلام الله ويحثنا على ذلك دوماً .

وينبهنـا إلى تقوى الله ومخافتـه ويـؤكد لنـا أن أثرهـا يصـل للأبنـاء ويستشهد في ذلك بقول الله عز وجل :

﴿وليخشى الـذين لو تركـوا من خلفهم ذريـةً ضعافاً خافـوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾ . (النساء آية ٩)

يترك لفعلـه أن يعلمنا أولاً فهـو القدوة ويـؤكـد لنا أننـا نحن قـدوة لأبنائنا وبناتنا فعلاً وقولاً .

يسأل عن أحـوالنا في وظائفنا وطريقـة تعاملنا مع الآخريـن ويؤكد على مساعدة الجميع دون خوف إلا من الله عـز وجل وأن نخالطهم بخلق حسن .

كان قليل الكلام عن نفسه يكتم أحزانه ويشكو إلى الله مايجد. وهذا مايؤكده رفيق صباه وصديق عمره اللواء الحبيب على زين العابدين- أمد الله في عمره- فهو يقول عنه:

(وهو الناشيء التقي تنزل به محنة ويفتك به ظلم وينتابه حزن فلا يشكو لأحد الصحب والأهلين، ولكنه يلجأ إلى من بيده ملكوت السموات والأرض القادر وحده على كشف ضره... هكذا أنت يا أحمد؛ تبطش بك عاديات الزمن وتقسو عليك الأيام في صباك اليافع (١٦ عاماً) وتتجهم حياتك فلا تلجأ للهو واللعب والسلو- شأن أندادك- بل تلجأ إلى الله بعلم نافع وقلب خاشع فأصبحت داعية لله تدعوا على بصيرة فتح بها الفتاح عليك فكنت من خيرة الشباب كما أنت اليوم من خير الشيب).

يحب صلة الرحم ويداوم عليها حتى لذرية من مات من أهل وده نذكر أنه كان يأخذنا في اليوم الثاني أو الثالث من شهر رمضان المبارك بعد صلاة التراويح لزيارة شقيقته لنبارك لها ولذريتها وكذلك لعوائل من أهل أمه يداوم على زيارتهم- رحمه الله- والسؤال عنهم في رمضان والعيد وبداية العام الهجري الجديد.

يحرص على صلاة المغرب فوق سطح المطابع يومياً وخاصة بعد وفاة العم الحبيب صالح جمال وصلاً لولده وحنيناً لمجلسه مع أبنائه اخواننا.

ولا ينسى اصدقاؤه ممن عاش معهم أيام صباه وشبابه والذين زاملوا رحلته مع الكلمة الإسلامية وخاصة الوفي الكريم الأستاذ محمد عبدالقادر فقيه- أطال الله عمره- لا يترك زيارته في رمضان بداره بمجلة

السليمانية حيث الـرفاق الأستاذ عبدالعـزيز الرفاعـي وعبدالعزيز الـربيع وغيرهم رحمهـم الله . وكذلـك الأساتـذة الأفاضـل صفوت السقـا أميني ومحسن باروم ومحمد حسـن فقي ومحمد صلاح الدين ومحمـد نور جمجوم ومحمد حلمي (الخطـاط) ونبيه الأنصاري وأبوالحسـن الندوي وأبوالأعلى المودودي وسيد طنطـاوي مفتي مصر وغيرهـم كثير ممن يحمـل لهم المودة ، وشأنه كذلـك مع تلامذته كالأستاذ عـاصم حمدان ود . عدنان وزان ود . جميل مغربي وجمعان الزهراني والمزجاجي الأشعري .

ومن لهم فضـل التعليم والتوجيه معلمـوه يسأل عن الأحيـاء منهم ويزورهم كالمربي الفاضل أحمد العربي والامـام الوقور عبدالله خياط ، ومن مات منهـم يسأل عن ذريتهـم ويبعث لهم بالتهـاني ويدعو مـن تيسر له الحصول عليهم إلى داره للاجتماع بهم لتجاذب الحديث .

كان دقيقاً في حيـاته ساعات ليله ونهاره ومحسوبـه يقسمها بين أهله ومكتبته ونومه ويقظته ولا يفرط في تلاوة القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهـار وصـلاة الليـل وسنـة الضحى سـواءً كـان مقيماً أو مسـافـراً وفقـاً لسـاعات محددة . . ولا يقبـل أن يضيـع الوقـت فيما لا فـائدة فيه ، ينـام ليصحوا قبل الفجر بساعة ليتلو القرآن ويصلي .

قـد يعتذر عـن نـدوة فكريـة أو مشاركـة في مـؤتمر خارج البـلاد أو داخلها لأجل أبنائه طلاب الجامعة يصحح أوراقهم ويقوّم أبحاثهم .

لا يتأخـر عن واجب يـدعوه دينه إليـه ، يلبي الدعـوات ويواسي في الأموات ويحضر الجنازات في أي وقت ، يرافق صاحب الحاجة للتوسط أو الشفاعة عند ولي أمر أو مسـؤول . . يحرص على قضاء الحاجات ويساعد المحتاجين .

يقول صهره العزيز الأستاذ طاهر جميل عابد :

(إتصل بي هاتفياً في وقت متأخر جداً من الليل قبل أيام من سفرته الأخيرة التي توفاه الله فيها ليؤكد على اسكان امرأة أمريكية مسلمة هي وأولادها في سكن جمعية صندوق البر التي كان يرأسها يرحمه الله مؤكداً أن ارتداد زوجها عن الإسلام يحملنا مسؤولية هؤلاء أمام خشية ارتدادها هي أيضاً ، رغم أن نظام الجمعية يمنع إسكان غير السعوديين) .

كان متواضعاً يستحي من أن يسمع مديحاً عنه ويخجل من ذلك ويرى نفسه مسكيناً وطالب علم . . . يرد على سؤالٍ طرح عليه بأنه يوصف بالكاتب الإسلامي فما هو رأيه؟ .

(وصفي بأني كاتب إسلامي لقب كبير لا أستحقه كالثوب الفضفاض على جسد نحيل) .

كنا نتعجب من طلبه للعلم فلقد كان كثير القراءة حتى في سفره فزرع فينا حب القراءة ومطالعة الكتب ومتابعة أخبار العالم وأحوال المسلمين في جميع أنحاء العالم .

ويؤكد صديقه اللواء علي زين العابدين ذلك فهو يراه ينكب على العلم انكباباً ويلتهم الكتب التهاماً ولا يترك مجلة أدبية أو صحيفة إلاّ ويقرأها لأن مكتبة شقيقه الشيخ صالح كانت نادياً أدبياً ومكتبة ثقافية بحق .

يتلقى الصدمات بجلد ورباطة جأش متمثلاً قول الله عز وجل :

﴿**والذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ مصدقاً ومؤمناً بأن : ﴿**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾ .

وحقـاً كان هـذا مـوقفه في مصيبتين نـزلتا بـه وهـو في أشد الحاجـة للمؤازرة والمعاضدة، وفاة والدتـه فجأة وهو في مؤتمر إسلامي في الجزائر ولم يرهـا وهو المتعلق بها المحـب لها- نذكر انـه كان ليلاً يجلـس معها ويصلي أمام غرفتهـا- والثانية وفاة شقيقـه الأكبر العم الغالي صالـح رفيق خطوه وتوأم روحـه وأمين سره ومستشاره الصالح وكـلاً منهما كان للآخر كـذلك تـوفي فجأة في وقـت أحوج مـايكون فيـه كلاهما لـلآخر، حتـى أنه قـال (تركتنـي وحيداً يـاصالح!) واسترجـع الله فيها ودمعـت عيناه حـزناً على فراقهما، وكأننا به مشتملاً قول الشاعر:

وكن رجلاً على الأهـــوال جـــلداً

وشيـــمتك الســـماحة والوفـــاء

لا يستأنس بعـد كتاب الله إلاّ في مكتبته بين كتبه ويراعـه وكأنما هو رهين المكـانين [مكتبـه ومكتبتـه] يقرأ ويهمـش ويكتـب ويبحـث ومما شجعـه على ذلك- رغـم أنـه سبب لـه الألم والحسرة في البـدايـة- تركـه للدراسة في سن مبكرة حيث يقول:

(لم اتخرج من السنة الثانية في المعهـد، إنما تخرجت من السنة الأولى إضطراراً للعمل والتكسـب، وقد سبقني إلى هذا الاضطـرار أخي الأستاذ صالـح، وقد ظللـت أعاني مـن هذا الاضطـرار وظللت أرى في منـامي رؤى متتـابعة. . أرى نفسي مقتعـداً مقعـد الدراسـة مـع زملائي كنـت حريصاً على أن أتمم تعليمي الثانوي ثم الجامعي).

(وكان ما أعـانيه من أسى ومـن أسف لتركي للدراسـة مبكراً دافعاً وعاملاً مؤثراً قوياً في أن أتولى بنفسي الدرس والتحصيل).

(إتخذت مبدأ أو شعار «اطلب العلم من المهد إلى اللحد» ولاأزال حتى اليوم أعتبر نفسي طالب علم مهما وصفني الوصافون، وأنا ثابت على هذا المبدأ.

وظللت أطلب العلم من سنة ١٣٥٩هـ - سنة تركي للمعهد- إلى هذا اليوم أدرس وأقرأ وأكتب وأبحث وأسأل وأتحرى وانتظر من يصوّب خطأئي ويذكر نسياني).

وبهذه الروح الطيبة والنفس المطمئنة استطاع أن يكون مدرساً جامعياً بدون شهادة أو بحرف دال يسبق إسمه.

والحديث عنه ممتع وعذب وفي نفس الوقت مخففاً من مصيبة فقده، ولو أردنا الاسترسال لتشمل كلمتنا هذه جوانب حياته لأخذت الكثير من الأوراق- ولانزكي على الله أحداً- وحسبنا من أراد أن يعرف عنه أكثر أن يقرأ رثاء أحبابه وأصحابه في صفحات الجرائد.

وختامه مسك وهو ما عرف عنه خلق قلّ أن يجده المسلمون في دعاتهم وهو أنه لايخاف في الله لومة لائم أخذاً بالآية الكريمة: ﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين**﴾ شرعةً ومنهاجاً في دعوته إلى الله يجهر بالحق في لين من غير ضعف وبحسن منطق وطيب كلمة ولا يحمل الحقد فهو دائماً يردد الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.

وبهذا كان معروفاً بين أهله وقرابته يحتكمون إليه فيما ينشب بينهم من خلافات ولا يفشي سراً فصدره أوسع للسر من صاحبه.

ويكفينا فخراً في الدنيا وعزاً في الآخرة إن شاء الله أن يكون والدنا هو أحمد بن محمد جمال ذلك الرجل الذي حمل في مجرى دمه الدفاع عن

الدين الذي ارتضاه ربنا عز وجل لجميع خلقه .

فاللهــم أرحمه رحمة الأبرار وأجعل نفســه مطمئنة راجعة إليـك يارب راضية مرضية .

أبناء أحمد محمد جمال (رحمه الله)

السيرة الذاتية للشيخ أحمدمحمد جمال رحمه الله وجمعنا به على خير مقدم من أبنائه بارك الله فيهم ونفع بهم إنه سميع مجيب

أحمد

ابن محمد

ابن صالح

ابن عبدالقادر

ابن صالح

ابن عبدالرحمن

ابن عثمان

ابن عارف

ابن محمد جمال .

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ وعاش بها حتى وفاته . يرتفع نسبه إلى الخليفة الراشد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما روى ذلك الشيخ عبدالستار بن عبدالوهاب الدهلوي في كتابه الشهير بأزهار البستان (الأزهار الطيبة النشر عن الأعيان في كل عصر) .

كما جاء في نفس الكتاب أن الشيخ عارف بن محمد جمال كان ممن درس القرآن والحديث والتفسير والفقه على المشايخ في المسجد الحرام وأنه توفي في عام ١١٦٣هـ . وأيضاً جاء فيه (أن الشيخ عبدالرحمن الكبير بن

العلامـة عارف بن محمد جمال الامـام والمدرس بالمسجد الحرام واحـد من علماء مكة العاملين . . . ولـد بمكة وتوفي بها عام ١٢٤٩هـ بعد أن ولي جده في عهد الشريف غالب وخلفه في ذلك ابنه عثمان) .

وأحمد محمـد جمال هـو أحـد أبنـاء هذه السـلالـة الطيبـة وشقيقـه صالـح- صاحب مكتبـة الثقافة بمكـة المكرمـة- نشأ في رعايـة والدهما وكان تـاجراً معـروفاً بشـارع المسعى حيـث يسكنون أمـام بيت الله الحرام أشقائهم على وعبدالقادر ومحمود .

درس بمدرسـة العزيـزية الابتدائيـة وتخرج منها ثـم التحق بـالمعهد العلمي السعـودي وخرج منه في السنـة الأولى طلباً للتكسب مـع شقيقه صالح عام ١٣٥٩هـ .

في ٢٣/ ٥/ ١٣٦٣هـ عمل في رئاسـة القضاة ككاتب آلـة ثم انتقل إلى كتابة عدل ثم إلى المحكمة الشرعية الكبرى في ٢٣/ ٥/ ١٣٦٣هـ .

استهوته صنعة الأدب والصحافة منـذ أن كان طالباً وظلت تكبر في نفسه وتتقدم خطوة في الحياة فترك العمل الحكـومي . لأجل هذه الصنعة في ١/ ١/ ١٣٦٥هـ وعمل سكرتيراً لتحرير جـريدة البلاد السعودية وكان يعمـل مديـراً ومحرراً ومصححـاً وصفيفاً للمـواد الاخبـاريـة أيضاً حتـى ١١/ ٤/ ١٣٧١هـ حيث عـاد للعمل الحكـومـي وعين مساعـداً لإدارة الثقـافة والتعليـم بوزارة الـداخلية ثـم مديـراً لشؤون الجنسيـة والجوازات والاحصاء في ١/ ١٠/ ١٣٧٣هـ على عهد سمو الأمير عبدالله الفيصل .

في ٢٣/ ٢/ ١٣٧٥هـ صدر مـرسوم ملكي بتعيينه عضـواً في مجلس الشـورى وأحيـل إلى التقـاعد في ١/ ٧/ ١٤٠٨هـ مـع استمـراريتـه في

العضوية حتى وفاته يرحمه الله .

حصل شقيقه الشيخ صالح جمال على امتياز اصدار جريدة حراء في عام ١٣٧٦هـ فعمل معه مديراً للتحرير في عام ١٣٧٦هـ.

وفي عام ١٣٧٨هـ صدّر نظام بدمج الصحف فادمجت حراء مع الندوة [١] وصدرت باسم الندوة واستمرت كذلك لصاحب امتيازها يشاركه شقيقه أحمد حتى عام ١٣٨٣هـ حيث صدر نظام أخير بتحويل الصحف إلى مؤسسات عامة بعد أن كانت صحافة أفراد .

اختاره الملك فيصل عضواً في لجنة لوضع النظام الأساسي للحكم[٢] وذلك سنة ١٣٨٢هـ.

اختير مدرساً للثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز عام ١٣٨٧هـ بفرعيها بمكة وجدة وعندما انفصلت وانشئت جامعة أم القرى بمكة اكتفى بالتدريس فيها لمادة الثقافة الإسلامية وتفسير القرآن الكريم حتى وفاته (بدون مقابل مادي) .

- عمل عضواً في اللجنة الثقافية برابطة العالم الإسلامي . ثم مشرفاً لسلسلة الكتاب الإسلامي دعوة الحق ١٤٠٢ وحتى وفاته .
- وعضواً بمجلس الأوقاف بمكة المكرمة .
- وعضواً بالمجلس البلدي بمكة المكرمة .
- وعضواً خبيراً بمجمع الفقه الإسلامي ١٤٠٦هـ. التابع لمنظمة

---

(١) اللجنة كانت مكونة من الأمير مساعد بن عبدالرحمن (رئيساً) وعضوية كلاً من أحمد محمد جمال- محمد بن جبير- أحمد بن زكي يماني- ابراهيم السويل- عبدالرحمن أبا الخيل .

(٢) الندوة امتيازها للمرحوم الشيخ الأديب أحمد السباعي وتم الاتفاق بينه وبين الشيخ صالح جمال على بيعها له فضمت إلى حراء وصدرت باسم الندوة .

المؤتمر الإسلامي في جدة .

● وعضواً في منظمة الشباب الإسلامي العالمية .

● وعضواً ثم رئيساً لجمعية صندوق البربمكة المكرمة منذ انشاءها .

● قام بالاشراف على مجلة التضامن الإسلامي التي تصدر شهرياً عن وزارة الحج والأوقاف وقدم استقالته للوزير قبل وفاته بسنة أو أكثر. عمل بالاذاعة السعودية كمذيع منذ إنشاءها عام ١٣٦٩ هـ وشارك بتقديم نشرات الأخبار وبرامج ثقافية متنوعة وأحاديث من اعداده بناء على طلب مدرائها حينذاك .

● شارك في كثير من المؤتمرات والندوات داخل المملكة وخارجها وفي معسكرات الشباب الإسلامي وتنقل كداعية أيضاً في كثير من دول العالم العربي والإسلامي وأوروبا وأمريكا وافريقيا وجنوب شرق آسيا حتى وصل إلى الصين .

تناول في مؤلفاته - التي تزيد على ٣٥ مؤلفاً - مجالات شتى دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية . وفي سنواته الأخيرة اتجه لتفسير القرآن الكريم .

ويتبين لقارئها أن محور مواضيعها بحثاً ونقاشاً وتعقيبات وعرض آراء ومقترحات ووضع حلول إنما يرتكز على خلفية إسلامية بحتة يدافع بها عن الإسلام ويجاهد بقلمه لرد كيد أعداء الإسلام مستنداً على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نصحاً وتوجيهاً لأبناء أمته فتياناً وفتيات رجالاً ونساء .

١- ماذا في الحجاز- ١٣٥٤هـ.
٢- سعد قال لي- ١٣٥٩هـ.
٣- الطلائع- ١٣٦٦هـ.
٤- مكانك تحمدي- ١٣٨٤هـ.
٥- محاضرات في الثقافة الإسلامية- ١٣٩١هـ.
٦- على مائدة القرآن الكريم (دين ودولة) (مبادىء ومثل)- ١٣٧١هـ.
٧- القصص الرمزي في القرآن الكريم.
٨- القرآن كتاب أحكمت آياته، جزءان- ١٣٧٣هـ.
٩- القرآن الكريم مأدبة الله في الأرض- ١٤٠٤هـ.
١٠- مفتريات على الإسلام.
١١- مسؤولية العلماء في الإسلام- ١٣٨٦هـ.
١٢- الجهاد في الإسلام- مراتبه ومطالبه.
١٣- نحو تربية إسلامية- ١٤٠٠هـ.
١٤- خطوات على طريق الدعوة. ثلاثة أجزاء.
١٥- كرائم النساء- ١٣٩٤هـ.
١٦- نساءنا ونساؤهم.
١٧- نساء وقضايا- ١٤٠٤هـ.
١٨- تعليم البنات بين ظواهر الحاضر ومخاطر المستقبل- ١٣٩٤هـ.
١٩- من أجل الشباب.
٢٠- حوار مع الشباب.
٢١- أوصيكم بالشباب خيراً- ١٤٠٩هـ.

٢٢- الشباب دراسات ولقاءات- ١٣٩٩هـ.

٢٣- الاقتصاد الإسلامي- ١٤٠١هـ.

٢٤- عقود التأمين.

٢٥- استعمار وكفاح.

٢٦- مأساة السياسة العربية- ١٣٨١هـ.

٢٧- نحو سياسة عربية صريحة- ١٤٠٢هـ.

٢٨- في مدرسة النبوة- ١٤١٤هـ.

٢٩- أدب وأدباء- ١٤١٣هـ.

٣٠- الصحافة في نصف عمود- ١٤١٢هـ.

٣١- تاريخنا لم يقرأ بعد.

٣٢- الأمة الواحدة.

٣٣- يسألونك (جزئين).

٣٤- من كشمير إلى فلسطين.

٣٥- قضايا معاصرة في محكمة الفكر الإسلامي- ١٤٠٠هـ.

٣٦- فكرة الدولة في الإسلام.

٣٧- حول منهج الدعوة الإسلامية- ١٤٠١هـ.

٣٨- المسلمون حديث ذو شجون- ١٤١١هـ.

٣٩- أعلام العلماء الاعلام وبناء المسجد الحرام (تعليق على الكتاب باشتراك مع الأستاذ الفاضل عبدالعزيز الرفاعي)- ١٣٦٦هـ.

٤٠- رفقاً بالقوارير.

وفاته رحمه الله :

توفي ساعة السحر من ليلة التاسع من شهر ذي الحجة عام ١٤١٣هـ بالقاهرة أرض الكنانة وهو ناوياً صيام يوم عرفة ونقل جثمانه إلى مكة المكرمة ليصلى عليه في المسجد الحرام فجر يوم الاثنين عيد الأضحى من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يحفظه الله إذ أمر بنقل جثمانه بطائرة خاصة عند سماعه للنبأ جزاه الله خير.

دفن يرحمه الله بمقابر المعلا بمكة المكرمة قريباً من مقبرة السيدة الطاهرة خديجة زوجة خير خلق الله سيدنا محمد ﷺ. رحم الله الشيخ أحمد رحمة الأبرار وغفر له وجمعنا به على مايحب ويرضاه.

فهرس الموضـــوعات

صدر من هذه السلسلة

م	العنوان	المؤلف
١	تأملات في سورة الفاتحة	الدكتور حسن باجودة
٢	الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه	الأستاذ أحمد محمد جمال
٣	الرسول في كتابات المستشرقين	الأستاذ نذير حمدان
٤	الاسلام الفاتح	الدكتور حسين مؤنس
٥	وسائل مقاومة الغزو الفكري	الدكتور حسان محمد مرزوق
٦	السيرة النبوية في القرآن	الدكتور عبد الصبور مرزوق
٧	التخطيط للدعوة الاسلامية	الدكتور محمد علي جريشة
٨	صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية	الدكتور أحمد السيد دراج
٩	التوعية الشاملة في الحج	الأستاذ عبد الله بوقس
١٠	الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره	الدكتور عباس حسن محمد
١١	لمحات نفسية في القرآن الكريم	د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢	السنة في مواجهة الأباطيل	الأستاذ محمد طاهر حكيم
١٣	مولود على الفطرة	الأستاذ حسين أحمد حسون
١٤	دور المسجد في الاسلام	الأستاذ محمد علي مختار
١٥	تاريخ القرآن الكريم	الدكتور محمد سالم محيسن
١٦	البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام	الأستاذ محمد محمود فرغلي
١٧	حقوق المرأة في الإسلام	د. محمد الصادق عفيفي
١٨	القرآن لكريم كتاب أحكمت آياته [١]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٩	القراءات أحكامها ومصادرها	د.شعبان محمد اسماعيل
٢٠	المعاملات في الشريعة الاسلامية	الدكتور عبد الستار السعيد
٢١	الزكاة فلسفتها وأحكامها	الدكتور علي محمد العماري
٢٢	حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم	الدكتور أبو اليزيد العجمي
٢٣	الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٢٤	الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	الدكتور عدنان محمد وزان
٢٥	الإسلام والحركات الهدامة	معالي عبد الحميد حمودة
٢٦	تربية النشء في ظل الاسلام	الدكتور محمد محمود عمارة
٢٧	مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي	د. محمد شوقي الفنجري
٢٨	وحي الله	د. حسن ضياء الدين عتر
٢٩	حقوق الانسان وواجباته في القرآن	حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠	المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	الأستاذ محمد عمر القصار

٣١- القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] ---------- الأستاذ أحمد محمد جمال
٣٢- الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج ------- الدكتور السيد رزق الطويل
٣٣- الاعلام في المجتمع الاسلامي ----- الأستاذ حامد عبد الواحد
٣٤- الالتزام الديني منهج وسط --------- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
٣٥- التربية النفسية في المنهج الاسلامي ------ الدكتور حسن الشرقاوي
٣٦- الاسلام والعلاقات الدولية ----- د. محمد الصادق عفيفي
٣٧- العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية - اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨- معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها ---- الدكتور محمود محمد بابللي
٣٩- النهج الحديث في مختصر علوم الحديث -- الدكتور علي محمد نصر
٤٠- من التراث الاقتصادي للمسلمين ----- د. محمد رفعت العوضي
٤١- المفاهيم الاقتصادية في الاسلام ------- د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢- الأقليات المسلمة في أفريقيا ------ الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٣- الأقليات المسلمة في أوروبا -------- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٤- الأقليات المسلمة في الأمريكتين --------- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٥- الطريق إلى النصر ----------- الأستاذ محمد عبد الله فودة
٤٦- الاسلام دعوة حق ------------ الدكتور السيد رزق الطويل
٤٧- الاسلام والنظر في آيات الله الكونية ------ د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨- دحض مفتريات ----------- د. البدراوي عبد الوهاب زهران
٤٩- المجاهدون في فطان ---------- الأستاذ محمد ضياء شهاب
٥٠- معجزة خلق الانسان ---------- د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١- مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية -- د. سيد عبد الحميد مرسي
٥٢- ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي والماركسي - الأستاذ أنور الجندي
٥٣- الشورى سلوك والتزام ---------- لدكتور محمود محمد بابلي
٥٤- الصبر في ضوء الكتاب والسنة ------ أسماء عمر فدعق
٥٥- مدخل إلى تحصين الأمة ---------- الدكتور أحمد محمد الخراط
٥٦- القرآن كتاب أحكمت آياته [٣]------- الأستاذ أحمد محمد جمال
٥٧- كيف تكون خطيبا---------- الشيخ عبد الرحمن خلف
٥٨- الزواج بغير المسلمين--------- الشيخ حسن خالد
٥٩- نظرات في قصص القرآن------- محمد قطب عبد العال
٦٠- اللسان العربي والاسلامي معاً في مواجهة التحديات الدكتور السيد رزق الطويل

٦١-	بين علم آدم والعلم الحديث	الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
٦٢-	المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان	د. محمد الصادق عفيفي
٦٣-	من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]	الدكتور رفعت العوضي
٦٤-	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥-	لماذا وكيف أسلمت [١]	الشهيد أحمد سامي عبد الله
٦٦-	أصلح الأديان عقيدة وشريعة	الأستاذ عبد الغفور عطار
٦٧-	العدل والتسامح الاسلامي	الأستاذ أحمد المخزنجي
٦٨-	القرآن كتاب أحكمت آياته [٤]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٦٩-	الحريات والحقوق الاسلامية	محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠-	الانسان الروح والعقل والنفس	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١-	كتاب موقف الجمهوريين من السنة النبوية	الدكتور شوقي بشير
٧٢-	الاسلام وغزو الفضاء	الشيخ محمد سويد
٧٣-	تأملات قرآنية	الدكتورة عصمة الدين كركر
٧٤-	الماسونية سرطان الأمم	الأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله
٧٥-	المرأة بين الجاهلية والاسلام	الأستاذ سعد صادق محمد
٧٦-	استخلاف آدم عليه السلام	الدكتور على محمد نصر
٧٧-	نظرات في قصص القرآن [٢]	محمد قطب عبد العال
٧٨-	لماذا وكيف أسلمت [٢]	الشهيد أحمد سامي عبد الله
٧٩-	كيف نُدَرِّس القرآن لأبنائنا	الأستاذ سراج محمد وزان
٨٠-	الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ	الشيخ أبو الحسن الندوي
٨١-	كيف بدأ الخلق	الأستاذ عيسى العرباوي
٨٢-	خطوات على طريق الدعوة	الأستاذ أحمد محمد جمال
٨٣-	المرأة المسلمة بين نظرتين	الأستاذ صالح محمد جمال
٨٤-	المبادىء الاجتماعية في الاسلام	محمد رجاء حنفي عبد المتجلى
٨٥-	التآمر الصهيوني الصليبي على الاسلام	د. ابراهيم حمدان علي
٨٦-	الحقوق المتقابلة	د. عبد الله محمد سعيد
٨٧-	من حديث القرآن على الانسان	د. على محمد حسن العماري
٨٨-	نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة	محمد الحسين أبو سم
٨٩-	أسلوب جديد في حرب الاسلام	جمعان عايض الزهراني
٩٠-	القضاء في الاسلام	سليمان محمد العيضي

العنوان	المؤلف
١٢١- الاسلام هو الحل	القاضي الشيخ محمد سويد
١٢٢- نظرات في قصص القرآن	الأستاذ محمد قطب عبد العال
١٢٣- من حصاد الفكر الاسلامي	د. محمد محي الدين سالم
١٢٤- خواطر اسلامية	الأستاذ ساري محمد الزهراني
١٢٥- الاسلام ومكافحة المخدرات	الأستاذ اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٢٦- دروس تربوية نبوية	الأستاذ صالح أبو عراد الشهري
١٢٧- الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل	د. عبد الحليم عويس
١٢٨- من سمات الأدب الإسلامي	د. مصطفى عبد الواحد
١٢٩- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٣٠- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الثاني]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٣١- المسجد البابري قضية لا تنسى	عبد الباسط عز الدين
١٣٢- التدريس في مدرسة النبوة	د. سراج عبد العزيز الوزان
١٣٣- الإعلام الإسلامي ووسائل الإتصال الحديثة	الأستاذ ابراهيم إسماعيل
١٣٤- تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام	د. حسن محمد باجودة
١٣٥- منهاج الداعية	الأستاذ أحمد أبو زيد
١٣٦- في جنوب الصين	الشيخ محمد بن ناصر العبودي
١٣٧- التنمية والبيئة دراسة مقارنة	د. شوقي أحمد دنيا
١٣٨- الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل	د. محمود محمد بابللي
١٣٩- سقوط الأيديولوجيات	الأستاذ أنور الجندي
١٤٠- الطفل في الإسلام	الأستاذ محمود الشرقاوي
١٤١- التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها	فتحي بن عبد الفضيل بن علي
١٤٢- لمحات من الطب الاسلامي	د. حياة محمد علي خفاجي
١٤٣- الاسلام والمسلمون في ألبانيا	د. السيد محمد يونس

مطابع رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة